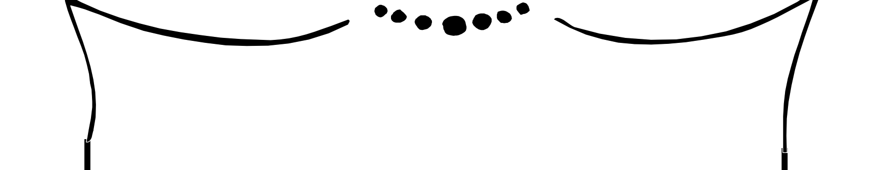
رِحلتُنا إلى الدارِ الآخرة

من نِهاياتِ الدُّنيا.. وإلى الخلُودِ الأبدِيّ

جَمْعُ وتَنْسِيق

عبدالله محمد الطوالة





رحلتُنا إلى الدَّار الآخرة

من نهايات الدُّنيا.. وإلى الخلود الأبدي

جمع وتنسيق

عبدالله محمد الطوالة





الإهداء

إلى كلِّ مُسلمٍ ومُسلمة ..

يُوقنُ أنه سيمرُ بهذه الرحلةِ السَّرمدِية

أُهدي هذا الكتاب، مع خالص الودِّ والتَّحية



الفصلُ الأول: تمهيد

الحمدُ للهِ فاطرِ الأكوانِ وباريها، ومسيّرِ الأفلاكِ ومجرِيها، وخالِقِ الدَّوابِّ ومُحصِيها، ومُقسّمِ الأرزاقِ ومُعطِيها، سبحانَه وبحمده، {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [إبراهيم:34] .. وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ .. إليهِ وإلا لا تشدُّ الركائبُ .. ومنهُ وإلا فالمؤمِلُ خائِبُ .. وفيهِ وإلا فالغرامُ مُضَيعٌ .. وعنهُ وإلا فالمحدِثُ كاذبُ .. والصَّلاةُ والسَّلامُ على الصادقِ الأمينِ، المبعوثِ رحمةً للعالمين .. اللهُ قدَّ صلى عليهِ قديماً .. وحباهُ فضلاً من لدنهُ عظيماً .. واختارهُ في المرسلين مُكرماً .. ذا رأفةٍ بالمؤمنين رحيماً .. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليهِ وعلى آله وصحبهِ أجمعين، والتابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدينٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً ..

أمَّا بعدُ: فلقد خلقَ اللهُ تعالى الانسانَ في أحسن تقويمٍ، ومنحهُ سمعاً وبصراً وعقلاً، وسخرَ لهُ ما في السموات وما في الأرض، وأرسلَ من اجله الرسلَ، وأنزلَ الكتبَ، و{خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك:2]، فإمَّا أن يهتديَ الانسانُ ويصلَ إلى أنوار الحقيقيةِ فيسعدَ ويرقى، وإمَّا أن يتيهَ في ظلماتِ الجهلِ والهوى فيضلَ ويشقى، ويندمُ حيث لا ينفعُ الندم: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:10] ..

نعم: فلقد كرمَ اللهُ تعالى بني آدمَ وفضلَهم، ورزقَهم من الطيبات وأكرمهم، ومنحَهم نِعمَة العقلِ والإدراكِ وميزهم .. كُلُّ ذلك ليعوا مُرادِ اللهِ جلَّ وعلا ويستجيبوا .. فلنتأمَّل قولَ الحقِّ جلَّ وعلا: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت:20] .. ثمَّ إنَّ كُلَّ ما في هذا الكونِ الهائلِ الفسيحِ

من أدق ذرةٍ، وإلى أكبر مجرةٍ، يُشيرُ إلى أنهُ إلى زوالٍ وفناءٍ ليسَ ببعيد، والعقلُ البشريُ يُسلِّمُ لهذه الحقيقةِ العِلميةِ ولا يُعارضُها، إلا أنَّ غرورَ كثيرٍ من النَّاس واستكبارِهم ورَدِهم للحقِّ، يقفُ حائِلاً بينهم وبين رؤيةِ هذه الحقيقةِ الناصعةِ، يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف:20] ..

أهميةُ الإيمانِ باليوم الآخر

لا شكَّ أنَّ الإيمانَ بكلِّ ما صحَّ عن اليوم الآخرِ، ركنٌ من أركان الإيمان، لا يصِحُّ إيمانُ مُسلمٍ بدونه، والأمرُ في غاية الجدِّيةِ والأهمية، فالدُّنيا بكُلِّ ما فيها فرعٌ صغيرٌ عن الآخرة، والآخرةُ هي الأصل، وهيَ الخلود، وهي الحياةُ الحقيقية، {وَإِنَّ

الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:64]، وما هذه الدُّنيا إلا رحلةٌ قصيرة، ومرحلةٌ يسيرة، يمرُّ بها الانسانُ ليؤدي فيها امتحاناً مؤقتاً، فإذا انهى امتحانهُ، عادَ إلى الأصل، عادَ إلى آخرته ليبقى فيها خالداً مُخلداً إلى ما لا نهاية، فمِن الواجبِ إذن، معرِفةُ أكبرِ قدرٍ ممكنٍ من تفاصيل ذلك اليومِ الطويل، وأحوالِ تلك الدارِ السرمديةِ الخالدة ..

إذا عُلم هذا فإنَّ الاستِحياشَ والنُّفورَ من ذكر الموتِ وما بعدهُ من أهوال القيامةِ وشدائدِ الآخرةِ هو نوعٌ من الغفلة، لا يليقُ بمؤمنٍ يوقنُ أنه لا بُدَّ له أن يُعاينَ تلك الأهوالِ والشدائد، وأن يُعايشها .. كيفَ والقرآنُ الكريم قد أفاضَ في ذكر ذلك كثيراً، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:1-2]، وقال جلّ وعلا: {يَوْمَ

تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا} [المعارج:8-10]، وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه:105-107]، وقال جلَّ وعلا: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار:1-5]، وقال تبارك وتعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا} [الزلزلة:1-3]، وقال سبحانه: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة:1-5]، وقال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس:33-37]، وقال أيضاً: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ

وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة:13-17] .. وغيرها من الآيات كثير ..

فالآخرةُ إذن هي الأصلُ، وهي التي تُعطي للدُّنيا معناها وقيمتها، وهي التي تُحدِّدُ دورَها ووظيفتَها .. ثمَّ إنَّ الإيمانَ باليوم الآخرِ ضرورةٌ حتميةٌ لتقويم النَّفس، وضبطِ السلوك، فمتى آمنَ الإنسانُ باليوم الآخرِ صلُحت أعمالُه، وحسُنت أخلاقُه، واستقامت أحوالة، يقول الحقُّ جلَّ وعلا: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ} [المؤمنون:73-74] .. وعليه فدراسةُ علومِ الآخرة، والتفقهِ فيها، أمرٌ مهمٌ جداً لترقيق القلوبِ، وتهذيبِ السلوك، وتخليصِ النَّفسِ من آفات الهوى وكدرِ الذنوب، وكُلِّ ما يُبعدُ الانسانَ عن خالقهِ وما خُلِقَ له .. وعليه فلا ينبغي للمسلم أن

يُعطي كُلَّ اهتمامهِ للدُّنيا الفانية، ويغفَلُ عن الآخرة الدائمة، والتي ستمتدُ فيها حياتهُ إلى ما لا نهاية، في دارٍ أبد، وخلودٍ سرمديٍ لا ينفد ..

ولا شكَّ أنَّ قيامَ السَّاعةِ (بالنسبة للإنسان) هو الحدثُ الأضخمُ والأعظمُ على الإطلاق، فهي نهايةُ الحياةِ الدُّنيا، ونهايةُ هذا الكونِ الهائلِ، بكل ما فيهِ من أجرامٍ ضخمةٍ، وبكلِّ ما فيهِ من أنواع الحياةِ ونشاطاتها، ولذا فينبغي أن يكونَ هذا الأمرُ الجللُ من أعظم ما يهتمُ لهُ الأنسانُ، فاللهُ تعالى ما أنزلَ من كتابٍ، ولا أرسلَ من رسولٍ ولا نبيٍ، إلا وأنذرَ قومهُ قيامَ السَّاعةِ، وما يحدثُ فيها من جلائل الأمور، وعظائمِ الأهوال، تأمّل: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف:59]، وقال تعالى: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا

إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف: 21]، وقال جلَّ وعلا: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ} [هود: 84]، وصالحٌ يقول: {هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الشعراء:155-156]، {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} [غافر:27]، حتى مؤمنُ آل فرعون يقول: {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} [غافر:32]، ويقول: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر:39] ..

ومِن رحمةِ اللهِ بعبادة أن جعلَ لهذه السَّاعةِ المهولةِ علاماتٍ كثيرةٍ، وأماراتٍ مُتعددةٍ، تسبقُ حُدوثها، وتُبينُ قُربَ وقوعِها، قال تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ

أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} [محمد:18]، وقال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء:1]، وقال جلَّ وعلا: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم:39] ..

أهميةُ أشراطِ السَّاعةِ

تكمنُ أهميةَ أشراطِ السَّاعةِ وعلاماتها، أنها بمثابة أجراسِ الخطر، التي توقظُ النَّائم، وتنبهُ الغافِلَ، وتُذكرُ النَّاسي، وتُنذرُ المستهتر، وتتوعدُ المعرض .. وما أجمَلَ أن تكونَ الآخرةُ بكُلِّ أحداثِها واهوالها وشدائِدها حاضِرةً في حِسِّ المسلمِ، لا تغيبُ عن ذهنه، فيستقيمَ على الجادة ولا يطغى، ويوازنَ بين بقاءه المؤقتِ في الدُّنيا، وبقاءِهِ الدَّائمِ في الدار الأخرى، فيُعطي كلَّ منهما قدرَها وحقَّها، كما قال جلَّ وعلا: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا

تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص:77]، وقال تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى:16-17] ..

فمقارنةُ المؤقتِ بالأبدي، تجعلُ الدُّنيا برُمتِها رقماً تافهاً جداً (لا يستحقُ الاهتمام)، إذ أنَّ حياةَ الآخرةِ سرمديةٌ بلا نهاية، ولو قُورنَ بها أكبرُ نصيبٍ من الدُّنيا فالنتيجةُ لن تتعدى جناحَ البعوضةِ، كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في الحديث الصحيح: "لو كانت الدُّنيا تعدِلُ عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى منها كافراً شربةَ ماءٍ"، وصدق اللهُ العظيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة:38] ..

كما أنَّ مفهومَ الإيمانِ بالآخرة هو بوابةُ الفهمِ لكتابِ اللهِ تعالى وتدبُّرِه، وهو مفتاحُ الوصولِ إلى أنوارِه وهداياتِه، تأمَّل: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة:1-5]، والمعنى أنهُ لا حصولَ على الهدايةِ والتَّقوى إلا بعدَ الإيمانِ بالغيب والإيقانِ بالآخرة ..

وكذلك فإنَّ مفهومَ الإيمانِ بالآخرة هو الذي يُخرجُ الانسانَ من كونه عبداً لشهواته، يتمحورُ حولها، يعيشُ ويكدحُ من أجلها، إلى أن يكونَ عبداً صالحاً، هدفُهُ الأعظمُ رضا الله تعالى، والفوزَ بالنعيم المقيمِ في الدَّار الآخرة ..

وكذلك فهو الذي يُهونُ على الانسان أن يتجاوزَ لحظاتِ الضعفِ واليأسِ والإحباطِ التي كثيراً ما تُصيبهُ جراءَ تعرُضهِ لمصائب الدُّنيا وحوادثها .. ومن تأمَّلَ ذلك الاستقرارَ النفسيَ، والهدوءَ الرُّوحي الذي ينعمُ به المؤمنونَ بالله واليومِ الآخرِ، يعلمُ أنه ثمرةَ هذا الإيمانِ المبارك، والذي يحرمُ منهُ من طُمست بصائرهم فهم لا يؤمنون، تأمَّل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:47] ..

ولقد أقسمَ اللهُ تعالى بنفسه العليةِ على بعثِ العبادِ ومُحاسبتهم، فقال تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن:7]، فقيام السَّاعةِ وعدٌ إلهيٌّ لا يتخلف، قال جلَّ وعلا: {إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} [غافر:59] .. وعلى هذا: فمن لا يُؤمنُ بالآخرةِ،

فالموتُ بالنسبة لهُ حقيقةٌ صعبةٌ، ومصيرٌ مجهولٌ، وأمَّا المؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فإيمانهُ بالبعث يجعلهُ آمناً مطمئناً، بل ويجعلُ موتَهُ مؤهِلاً له لنيل رضوانِ اللهِ تعالى ودخولِ جنتهِ، تأمَّل: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر:27-30] ..

نظرةٌ سريعةٌ على أبرز موضوعاتِ الكتاب

عالمُ الآخرةِ عالمٌ واسعٌ جداً، وتفاصِيلهُ كثيرةٌ وغزيرة، واحداثهُ مُتنوعةٌ ومُتشعبة .. بدأً من اشراط السَّاعةِ الصُّغرى والوسطى ثمَّ الكبرى وشبهِ الكبرى، ثمَّ قيامُ السَّاعةِ وزلزالها العظيم، مروراً بالموت والقبرِ وحياةِ البرزخ، ثمَّ البعثُ والنُّشورُ وبدءِ يومِ القيامة، ثم الحشرُ والوقوفُ الطَّويل، مروراً بالحوض والشَّفاعة، ثمَّ نزول الربِّ تبارك وتعالى في ظُلَلٍ من الملائكة، ثمَّ العرضُ على الله

تعالى والقيامُ لربِّ العالمين، ثم الحسابُ والميزانُ والصُّحفُ والصِّراطُ ثم الجنَّة والنَّار ..

وبإذن اللهِ تعالى وعونهِ سنقفُ مع كل موقفٍ من تلك المواقفِ والاحداثِ العظيمةِ، من خلال الآياتِ القرآنِية، والاحاديثِ النبويةِ الصَّحيحة، وما ثبتَ من أقوالِ الصَّحابةِ والتَّابعين، وآراءِ المفسرين الموثقين، مع الاستفادة من بعض العلومِ الحديثةِ كعلوم الفلكِ والجيولوجيا ..

أسألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم، أن يفتحَ لنا جميعاً من خزائن جودهِ وكرمهِ فتحاً مُبيناً، وأن يُمدَنا بعونه وتوفيقهِ وتسديدهِ مدداً كريماً، وأن يجعلَ ذلك كلهُ خالصاً صواباً، وأن يتقبلهُ عندهُ بقبولٍ حسنٍ كريم، وأن يجعل فيه النفعَ العظيم، والخيرَ المستديم، اللهم آمين ..

الفصلُ الثاني: الكون: كيفَ بدأ، وإلى أين يصير

انطلاقاً من التوجيه القرآنِي الكريم: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت:20]، فهناك أولاً أمرٌ إلاهيٌ صريحٌ بالنظر إلى بداية الخلقِ، (كَيْفَ بَدَأَ)، ثمَّ رَبطُ ذلك بقيام السَّاعةِ وبدايةِ الآخرة، ودِلالةُ ذلك على عظمةِ اللهِ تبارك وتعالى، وأنهُ على كلِّ شيءٍ قدير ..

تأمَّل: فلقد أكدَّ المولى جلَّ وعلا قيامَ السَّاعةِ في آياتٍ كثيرة، فقال تعالى: {وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج:7]، وقال جلَّ وعلا: {إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} [غافر:59]، وأكدَّ سبحانه أنهُ هو وحدهُ فقط من يعلمُ متى تقوم، وأنَّها لا تأتي إلا بغتةً، فقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا



عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} [الأعراف:187]، ولكنهُ تبارك وتعالى من رحمته بعباده حذَّرهم مِراراً أنَّها قريبةٌ، فقال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر:1]، وقال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} [الشورى:17]، بل وأخبرنا جلَّ وعلا أنَّ هناك علاماتٍ وأماراتٍ ستقعُ قبل قيامِها، تدلُ على قُربُ وقوعها، فقال تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد:18]، كما أنَّ هذه الامارات والأشراطِ جاءَ تفصِيلُها في أحاديث كثيرةٍ، وبإذن اللهِ سنذكرُ شيئاً منها في الفصل القادم .. فالذي نفهمهُ من الآياتِ السَّابقة، أنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّها لا تأتي إلا بغتةً، وأنَّهُ لا يَعلمُ وقتَ قيامِها إلا اللهُ وحدَهُ فقط، وإنَّ قيامَها قريبٌ، وأنَّ هناك علاماتٍ وأماراتٍ ستقعُ قبلَها، تدلُ على قُربِ قيامها، ولكن هذا القربَ قربٌ نسبيٌ .. ومعنى أنَّ:

قيامَ السَّاعةِ قريبٌ نسبياً

أي أنَّ ما بقيَ من الزمن حتى قيامِ السَّاعةِ قصيرٌ جداً مقارنةً بما مضى من عمر الدنيا .. ومعلومٌ أنَّ الآياتِ القرآنيةِ (التي تحدثت عن قُربِ قيامِ السَّاعةِ) أنها نزلت قبلَ أكثرَ من الفِ واربعمائة عام، وهذه الفترةُ وإن كنَّا نراها في تقديرنا طويلةٌ، فهي في تقدير اللهِ تعالى قصيرةٌ جداً، وهي كذلك قصيرةٌ بالنسبة لعُمر الدُّنيا، تأمَّل: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا} [المعارج:4-6]، ويقولُ جلَّ وعلا رداً على من يستعجلُ بالعذاب: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [الحج:47]، فميزانُ التقديرِ مختلفٌ جداً، فنحنُ نقدرُ طولَ الزمنِ وقِصرةِ بالنسبة لأعمارنا التي لا تتجاوزُ المائةَ سنة، بينما

قُربُ السَّاعةِ وبُعدُها إنما يُقاسُ ويقدَّرُ بالنسبة لعُمر الدُّنيا كُلِّها، والتي يُقدِرها عُلماء الفلك بـ14 مليار سنة ..

ولقد كان أعظمَ اكتشافٍ لعُلماء الفلكِ والفضاء، حين تبينَ لهم أنَّ الكونَ كُلَّهُ يتمدَّدُ للخارج بسُرعاتٍ هائلةٍ جداً، وبناءً على ذلك قاموا بوضع:

تصوُّر تقريبي لنشأة الكونِ وكيفَ بدأ

فقالوا: لو رجعنا إلى الوراء قديماً، سنجدُ أنَّ الكونَ بدأَ من جِرمٍ صغيرٍ، وهذا الجِرمُ الصغيرُ كانَ شديدَ الكثافةِ جداً، أي أنهُ كانَ (مكبوساً) أو مضغوطاً ضغطاً هائلاً، وكانَ في درجة حرارةٍ هائلةٍ جداً، ثمَّ أنفجرَ هذا الجِرمُ انفجاراً هائلاً، مُتحولاً إلى دُخانٍ وسديمٍ كوني كثيفٍ جداً، انتشرَ بسرعةٍ هائلةٍ في كل الاتجاهات، ورافقَ ذلك تدفقٌ هائلٌ للحرارة، ومع انتشارِ هذا السَّديمِ أخذت حرارتهُ بالانخفاض تدريجياً لتبدأ بعدها أجزاءهُ

بالتجاذب فيما بينها والتَّلاحُمِ مُكونةً النُّجومَ الأولى، ومنها تكونت المجراتُ بما فيها من نجومٍ وكواكبَ وأقمارٍ تدورُ حولَ بعضِها نتيجةَ وقوعِها بين قوتين، قوةَ التَّجاذبِ فيما بينها بحسب أحجامِها، وقوةَ الانفجارِ الأولِ، والتي تُسمى بقوة الطردِ المركزية، والتي بسببها يظلُّ الكونُ يتوسعُ ويتمدَّدُ للخارجِ في كُلِّ الاتجاهات، كأنهُ بالونٌ يتمدَّدُ بالنفخ، فمع تمدُّدِ الكونِ للخارج تتباعدُ الأجرامُ والنُّجومُ عن بعضها بسرعاتٍ هائلةٍ، إلا أنَّ هذهِ السُّرعةَ الهائلةَ في تناقصٍ مُستمر، وستظلُ تقِلُ وتقلُ حتى تتغلَّبَ عليها القوةُ الأخرى، قوةُ التَّجاذبِ، فينعكِسُ حالُ الكونِ، ويأخذُ في الانكماشِ للداخل، فيما يُسمى بنظرية الانسحاقِ العظيم، حتى يعودَ الكونُ كما بدأَ جِرماً واحداً، ثمَّ ينفجرُ من جديدٍ مكوناً مجراتٍ ونجوماً جديدةً بنفس الطريقة، ويذكرُ العلماءُ أنَّ هناكَ مؤشراتٍ عِلميةٍ كثيرةٍ تؤكدُ أنَّ مرحلةَ الانسحاقِ هذه على وشك أن تبدأ، ورغمَ أنَّ هذه التَّصوراتِ

لا تزالُ في كثيرٍ من جوانِبها مُجردَ تخميناتٍ ونظرياتٍ، أي أنَّ أكثرها لم يثبُت بعدُ بشكلٍ قطعي، إلا أنَّ أجزاءَ كبيرةً منها تتوافقُ كثيراً مع الحقائقِ القرآنيةِ ..

فالقرآنُ الكريمُ يخبرُنا أنَّ السَّمواتِ والأرضَ كانتا شيئاً واحِداً ثمَّ انفتَقَ، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء:30] ..

والقرآنُ الكريمُ يبينُ أنَّ أصلَ السمواتِ والأرضَ كان دُخاناً، يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت:11] ..

والقرآنُ الكريمُ يخبرنا أنَّ هناك قوةً تُمسكُ السمواتِ والأرضَ كي لا تزولَ وتتفرقَ أجزاءها، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر:41] ..

والقرآنُ الكريمُ كذلك يخبرنا أنَّ الكونَ في حالة تمدُّدٍ وتوسُّعٍ مُستمر، قال تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات:47] ..

والقرآنُ الكريمُ أيضاً يخبرنا أنَّ الكونَ سيُطوى ليعودَ كما بدأ، قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] ..

والقرآنُ الكريمُ أيضاً يخبرنا أنَّ السمواتِ والأرضَ سوفَ تُبدلُ بسمواتٍ وأرضٍ جديدة، قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم:48]..

فلا إله إلا الله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67]، ولا إله إلا الله: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [الشورى: 17–18] ..

مراحل تكوُّن الكون

لقد تكلَّم علماءُ الفلكِ عن نشأةِ الكونِ ومراحلِ تكوُّنهِ كثيراً، إلا أنَّ فهمَ ذلك وتصورهِ لا يزالُ صعبٌ جداً، نظراً لأنَّ الأزمنةَ التي تَفصِلُ كُلَّ مرحلةٍ عن الأخرى طويلةٌ جداً، ولا يمكنُ إدراكُها وتصورها .. ولكي يسهُلَ علينا تصورُ الوضعِ بمقاييسنا المحدودَةِ، فعلينا أن نتخيلَ أنَّ عمرَ الكونِ كُلِّهِ والذي يُقدِّرهُ

عُلماءُ الفلكِ بـ 14 مليار سنة، نتخيلُهُ أو نعتبرهُ كأنهُ أسبوعٌ، أو سبعةُ أيامٍ، أي أننا سنجعلُ في مقابل كلِّ مليارينِ من السنوات يوماً من الأسبوعِ، إذا تصورنا هذا، فإنَّ عُلماءَ الفلكِ يخمنونَ أنَّ النجومَ والمجراتِ ظهرت في اليومِ الثانِي من عمر الكونِ، وأنهُ في اليوم الثالثِ ظهرت الكواكبُ والأقمارُ بعد أن انفصلت عن النُّجوم وبردت شيئاً فشيئاً، ومن ضمنها كوكبُ الأرضِ، وأنهُ في اليوم الرابعِ تشكلت أبراجُ السماءِ طِباقاً، وظهرت السماءُ بشكلها الحالي، وأنَّ كوكبَ الأرضِ في بداية تكونِه كان مُلتهباً ثمَّ برد، وأنَّ التربةَ والجبالَ بدأت في التَّشكُّل في بداية اليومِ السَّادسِ تقريباً، ثمَّ ظهرت البحارُ والأنهارُ، ثمَّ النباتاتُ والأشجارُ، ثم الأحياءُ المائية، ثم الحيواناتُ البرية، ثمَّ الطيورُ ثمَّ الحشرات، ويذكرونَ أنَّ الانسانَ وجدَ في الساعتين الأخيرتينِ من آخر هذا الأسبوع .. وهذه التَّصوراتُ النظريةُ

وإن كانت لم تثبت بعدُ، إلا أنها هي أشهرُ ما يتداولهُ علماءُ الفلكِ والجيلوجيا حولَ نشأةِ الكونِ ونهايته ..

فتعالوا لنتأمَّلَ ما قالهُ الصَّادقُ المصدوق ﷺ قبلَ الفٍ واربعمائة عام، ففي صحيح الامامِ مُسلمٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيَدِي فَقالَ: "خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَومَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَومَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَومَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَومَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَومَ الأرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَومَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عليه السَّلَامُ بَعْدَ العَصْرِ مِن يَومِ الجُمُعَةِ، في آخِرِ الخَلْقِ، في آخِرِ سَاعَةٍ مِن سَاعَاتِ الجُمُعَةِ، فِيما بيْنَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "بُعثتُ أنا والسَّاعةِ كهاتَيْن وجمعَ بين السَّبَّابةِ والوُسطَى"، متفقٌ عليه ..

وهنا نؤكدُ على:

ثلاث نقاطٍ جوهريةٍ هامَّة:

أولها: أنَّ جميع الحقائقِ العلميةِ التي اكتشِفت أو التي ستُكتشفُ فيما بعد، لم ولن تتعارضَ مع حقائقِ القرآنِ وما صحَّ من سنة المصطفى ﷺ، فاللهُ تعالى يقولُ: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت:53] ..

وثانياً: أنَّ كلَّ ما جاءَ في القرآن الكريمِ والسُّنةِ المطهرةِ من حقائقَ حولَ السَّاعةِ وقُربِ وقوعِها، إنما هو تحذيرٌ وإنذارٌ للعباد ألا يغفلوا عن هذه النِّهايةِ القريبة، قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء:1]، وقال جلَّ وعلا: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم:39]، وأنَّ العبادَ بحاجةٍ كبيرةٍ وعاجلةٍ لأن

يتزودوا لها زاداً كثيراً، وأن يستعِدَوا لها استعداداً كبيراً، فهي المآلُ والمستقر، وفيها البقاءُ الأبدي السَّرمدي ..

وثالثاً: أنَّ من يؤمنُ بهذه الحقائقِ ويسيرُ على هديها، ويتذكرها ولا يغفلُ عنها، فهو من المهتدين المفلحين، تأمَّلوا: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة:1-5] ..

نسألُ اللهُ الكريمَ أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا هداة مهتدين ..

الفصلُ الثالث: علاماتُ السَّاعةِ وأشراطِها

علاماتُ السَّاعةِ أو أشراطِها أو أماراتها، هي الأحداثُ والوقائِعُ التي أخبرنا اللهُ تباركَ وتعالى، أو نبيُهُ ﷺ أنها ستقعُ في المستقبل، والتي تدلُ على قُرب قيامِ السَّاعةِ ..

وعلاماتُ السَّاعةِ وأشراطها كثيرةٌ جداً، جاءَ بعضُها في القرآن الكريم، وجاءَ أكثرها في الأحاديث الشريفة، فعَنْ أَبِي زَيْدٍ عمْرُو بنِ أخْطَبَ الأنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَال: صلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ الْفَجْر، وَصعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَل فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَر حَتَّى حَضَرتِ العصْرُ، ثُمَّ نَزل فَصَلَّى، ثُمَّ صعِد المنْبر حتى غَربَتِ الشَّمْسُ، فَأخْبرنا مَا كان ومَا هُوَ كِائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أحْفَظُنا. رواهُ مُسْلِمٌ، وفي صحيح مسلمٍ أيضاً، عن حُذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، ما تَرَكَ شيئًا يَكونُ في مَقَامِهِ ذلكَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، إلَّا حَدَّثَ به،

حَفِظَهُ مَن حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَن نَسِيَهُ، قدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وإنَّه لَيَكونُ مِنهُ الشَّيْءُ قدْ نَسِيتُهُ فأرَاهُ فأذْكُرُهُ، كما يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إذَا غَابَ عنْه، ثُمَّ إذَا رَآهُ عَرَفَهُ" ..

والمتأمِّلُ في علاماتِ السَّاعةِ وأشراطها عُموماً، يجدُ أنَّها غالباً ما تدورُ حولَ غُربةِ الدِّين، وعن تناقُصِ الخيرِ وأهلِهِ، وتكاثُرِ الشَّرِ وأهلِهِ، وعن ظهورِ الفتنِ الجديدةِ وتزايُدِها، ويلاحِظُ كذلك أنهُ كُلَّما تقدمَ الزَّمنُ ازدادت العلاماتُ كثرةً، وقويت دِلالتُها، وتسارعَ تتابُعها، وتقاربَ زمانها، واتسعَ نِطاقُ تأثيرها ..

أقسامُ علاماتِ السَّاعةِ

لقد قسَّمَ أهلُ العلمِ علاماتِ السَّاعةِ إلى قسمين: صُغرى وكُبرى، وهذا التقسيمُ ليسَ من حيثُ ضخامةِ الحدث، وإنما سُميت العلاماتُ الصُّغرى بالصُّغرى لأنها الأبعدُ زمناً عن قيام السَّاعة، ولأنَّ نطاقَ أثرها محدودٌ، فيشعرُ بها قومٌ دونَ قوم،

ولأنَّ دِلالتِها على قُرب السَّاعةِ أقلَ مِن دِلالة الآياتِ الكبرى، فالآياتُ الكبرى شديدةُ القُربِ من قيام السَّاعةِ، ودِلالتُها على قُربِ القيامةِ كبيرٌ وواضحٌ، ونطاقُ تأثيرها يعُمُ أهلَ الأرضِ جميعاً، كما أنَّ الآياتِ الكبرى إذا ظهرت كانت كخرزاتِ سلكٍ انقطع، فتتابعت سريعاً، وعمَّ أثرُها الأرضَ جميعاً، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا"، صححهُ الألباني، وقال العلماءُ في شرحها أنَّ آياتِ السَّاعَةِ الكُبرى، تخرُجُ مُتتابِعَةً لا يَفصِلُ بينهُنَّ فاصِلٌ طويلٌ ..

والآياتُ الكبرى هي الآياتُ العشرُ التي جمعها حديثُ حذيفةَ بن أُسيدٍ رضي الله عنه في صحيح مُسلمٍ، قال: اطَّلَع النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكَرُ فقال ما تَذكُرونَ، قالوا نَذكُرُ السَّاعةَ، قال إنها لن تَقومَ حتى ترَوا قبلَها عشْرَ آياتٍ، فذَكَر الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمسِ من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ ﷺ



ويأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمشرِقِ وخَسفٌ بالمغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم"، هذه هي الآياتُ الكبرى، ويُلحقُ بها علاماتٌ (شبه الكبرى) سنتحدثُ عنها بإذن اللهِ لاحقاً .. وهناك تقسيمٌ آخر أدقُ وأوضحُ من التقسيم السَّابقِ، يُقسِّمُ العلاماتِ من حيثُ ترتيبِ ظهورها، وهو على النحو التالي:

أولاً: علاماتٌ ظهرت وانتهت.

ثانياً: علاماتٌ ظهرت وما زالت مُستمرة.

ثالثاً: علاماتٌ لم تظهر بعدُ.

رابعاً: العلاماتُ شبه الكبرى.

خامساً: الآياتُ العشرُ الكبرى.

وتفصيلهُ على النحو التالي:

القِسمُ الأولُ: علاماتٌ ظهرت وانتهت

وأولُ تلك العلامات: بعثةُ النبي ﷺ، فهو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين وآخرهم، وأقربهم ليوم القيامة، إذ لا نبيَ ولا رسالةَ بعدهُ، وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "بُعثتُ أنا والسَّاعةِ كهاتَيْن وجمعَ بين السَّبَّابةِ والوُسطَى" ..

والعلامةُ الثانيةُ من العلامات التي ظهرت وانتهت: انشقاقُ القمرِ، ففي مُحكم التنزيل، يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر:1]، وعن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: انْشَقَّ القَمَرُ علَى عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: اشْهَدُوا، متفقٌ عليه ..

والعلامةُ الثالثةُ إلى السَّادسة: أربعُ علاماتٍ جمعها حديثٌ واحدٌ، ففي صحيح البخاري، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوك وهو في قُبَّةٍ مِن أَدَمٍ،



فَقالَ: "اعْدُدْ سِتًّا بيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المالِ حتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا .. إلخ الحديث ..

فالعلامةُ الثالثة: مَوتُ النَّبيّ ﷺ في العام العاشرِ للهجرة .. والعلامةُ الرابعة: فَتحُ بَيتِ المَقدِسِ، وقد تمَّ في عَهدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، في العام الخامِسِ عشر للهجرة .. والعلامةُ الخامسة: مُوتانٌ كَقُعاصِ الغَنَمِ، موتان: أي موتٌ كثير، والقُعاصُ داءٌ يُصيبُ الغَنَمَ، فيقضي عليها سريعاً، والمقصودُ به طاعونُ عَمَواسَ، والذي حدثَ في العام الثامنِ عشر للهجرة، وماتَ منهُ أكثرَ من خمسةِ وعشرين ألْفًا من المسلمين، من بينهم أمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عبيدةَ عامرُ بن الجراح، ومعاذُ بن جبل، ويزيدُ بن أبي سفيان، والحارثُ ابن هشام، وسهيلُ بن عمرو، وغيرهُم من كبارِ الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين .. والعلامةُ السَّادسة: استِفاضةُ المالِ حتَّى يُعطى الرَّجُلُ مِئةَ دينارٍ فيَظَلُّ

ساخِطًا؛ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ، فَيَفِيضَ حتَّى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَن يَقْبَلُهُ منه صَدَقَةً، ويُدْعَى إلَيْهِ الرَّجُلُ فيَقولُ: لا أرَبَ لي فِيه"، وقد حدثَ هذا في زمن خلافةِ عمرَ بن عبدالعزيز رحمه الله ..

والعلامةُ السَّابعة: معركةُ صِفين، سنةَ سَبعٍ وثَلاثينَ للهِجرةِ، وكانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ومع كُلٍّ منهما جيشٌ عظيمٌ يزيدُ عن المائة الف، وقد راحَ ضحيةَ هذا الخِلافِ عددٌ كبيرٌ جداً من الصحابةِ والتَّابعينَ يُقدرُ بسبعينَ الفاً، فعن ابي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتانِ عَظِيمَتانِ، وتَكُونُ بيْنَهُما مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ودَعْواهُما واحِدَةٌ"، والحديثُ في مُسلم ..

والعلامةُ الثَّامنة: نارٌ تخرجُ بأرض الحجازِ تُضيءُ لها أعناقُ الأبلِ بالشام، ففي الصحيح عن أبي هريرةَ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرْضِ الحِجازِ تُضِيءُ أعْناقَ الإبِلِ ببُصْرَى"، وبُصرى هي مدينةُ حُورانَ بالشام، وتبعدُ عن المدينة أكثرَ من ألف كيلو، قال الامامُ النوويُ رحمهُ اللهُ، خَرجت في زماننا نارٌ بالمدينة سنةَ 654 للهجرة، وكانت ناراً عظيمةً، بِقُرْبِ المدينةِ، تَوَاتَرَ العِلْمُ بها عند أهلِ الشَّامِ، وسائرِ البُلدانِ، وقال ياقوت الحموي إنَّ أهلَ الشامِ رأوا ضوئها، وقيل أنها لَبِثَتْ مُتقدةً تَرمي بالحمم نَحْوًا من خَمسينَ يومًا ..

والعلامةُ التَّاسِعة: قتالُ التَّتارِ والمغولِ والترك، ففي البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا قَوْمًا نِعالُهُمُ الشَّعَرُ، وحتَّى تُقاتِلُوا التُّرْكَ، صِغارَ الأعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأنَّ وُجُوهَهُمُ المَجانُّ المُطْرَقَةُ"،

أي عريضةٌ مُسطحة، وقد حدث هذا في نهاية العهد العباسي، في القرن الثَّامنِ الهجري ..

ولا شكَّ أنَّ كُلَّ علامةٍ من هذه العلامات، اعجازٌ غيبيٌّ، ودليلٌ من دلائل صدقِ المصطفى ﷺ، وهناك أحاديثُ صحيحةٌ كثيرةٌ، فيها إخبارٌ بأحداثٍ وقعت كما أخبرَ المصطفى ﷺ، وتعتبرُ من علامات السَّاعةِ، كخبر مقتلِ عمرَ وعثمانَ رضي الله عنهما، ومعركةِ الجملِ وفتنةِ الخوارجِ، وتنازلِ الحسنِ عن الخلافة، وزوالِ فارسَ والروم، ومقتلِ بعضِ الصحابةِ كعمَّارٍ وغيره، لكن لأنَّ المصطفى ﷺ لم ينصَّ على أنها من علامات السَّاعةِ فلم نضعها هنا ..

القِسمُ الثاني: العلاماتُ التي ظهرت وما زالت مُستمرةً

وأولها ظهورُ الفتن: فعن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ بينَ يديْ السَّاعةِ فِتَنًا كقطعِ الليلِ المظلمِ

يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي"، والحديثُ صححهُ الألباني، فالفتنُ بين يدي السَّاعةِ كثيرةٌ جداً، منها الصغيرُ ومنها الكبير، ومنها ما لا يُحتمل، وكُلها من الابتلاء والامتحان، فقد جاء في الحديث الصحيح، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ثُمَّ يُمْسِي كَافِرًا، ثُمَّ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلاَقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ"، قَالَ الْحَسَنُ البصري: "وَلَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُوَرًا وَلاَ عَقْلَ، أَجْسَامٌ وَلاَ أَحْلاَمَ، فَرَاش نَارٍ، وَذِئَاب طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ" ..

وهذا الحديث من جوامع كلمهِ ﷺ، فغالبُ أحاديثِ السَّاعةِ عن الفتن، وكثيرٌ منها فتنٌ عظيمةٌ يمكنُ أن تصرفَ المسلمَ عن دينه، وتحولهُ إلى الكفر عياذاً بالله ..



وثاني العلاماتِ التي ظهرت وما زالت مُستمرةً: ظهورُ الدَّجالينَ الكذابين، الذين يدَّعُون النبوةِ، فقد جاء في صحيح مُسلمٍ عن ابي هريرةَ ﵁، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذّابُونَ قَرِيبٌ مِن ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أنَّه رَسولُ اللَّهِ"، وقد ظهرَ كثيرٌ من هؤلاء الدَّجالين: منهم مُسيلمةَ الكذاب، ظهرَ في زمن النبي ﷺ، وماتَ على كفره، وسُجاحُ، وهي امرأةٌ من بني تميم ادعت النبوةَ ثم تابت وأسلمت، وطُليحةُ الأسدي وقد أسلمَ أيضاً، والأسودُ العنسي ظهرَ بصنعاء وقُتلَ على الكفر، ثمَّ ظهرَ المختارُ الثقفي، والحارثُ الكذابُ، في خلافة بني أمية، وخرجَ غيرهم في خلافة بني العباس، كما ظهرَ مجموعةٌ أخرى في عصرنا الحالي، منهم: أحمد القادياني بالهند، والميرزا عباس بإيران، ولا يزالُ هؤلاء الكذابون يظهرونَ حتى يكونَ آخرهم الأعورُ الدجال، كما قال ﷺ في الحديث

الصحيح: "وأنَّهُ واللَّهِ لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يخرجَ ثلاثون كذَّابًا، آخرُهُمُ الأعوَرُ الدَّجَّالُ ممسوحُ العَينِ اليسرى" ..

ومن العلامات التي ظهرت وما زالت مستمرةً: كثرةُ القتل، ففي الحديث الصحيح، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ بين يَدَيْ السَّاعَةِ الهَرْجَ، قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: القَتْلُ، إنَّهُ ليس بقَتْلِكُمُ المشْرِكِينَ، ولكنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، حتى يقتلَ الرجلُ جارهُ، ويقتلُ أخاهُ، ويقتلُ عمَّهُ، ويقتلُ ابنَ عمِّهِ، الخ الحديث، ودلالتهُ بينةٌ لا تحتاجُ إلى مزيد توضيحٍ ..

ومن علامات السَّاعةِ التي ظهرت وما زالت مُستمرةً: فشوُ التَّجارةِ، وتسليمُ الخاصةِ، وقطعُ الأرحامِ، وكتمُ شهادةِ الحقّ، وظهورُ القلمِ، ففي الحديث الصحيح، قال رسول الله ﷺ: "إنَّ بين يَدَيِ السَّاعةِ تسليمَ الخاصةِ، وفُشُوَّ التجارةِ حتى تُعِينَ المرأةُ زوجَها على التجارةِ، وقَطْعَ الأرحامِ، وشهادةَ الزُّورِ، وكِتمانَ

شهادةِ الحقّ، وظهورَ القلمِ"، وعن عبدالله بن مسعود ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ من أشراطِ السَّاعةِ أن يُسلِّمَ الرجلُ على الرجلِ لا يُسلِّمُ عليهِ إلا للمعرفةِ"، والحديثُ صحيح، وقد أُمرنا بالسَّلام على من نعرفُ ومن لا نعرف، وأمَّا فشو التَّجارةِ فمعناهُ ازديادُها حتى تُلهي عن طاعة الله، وظهورُ القلمِ، أي انتشارُ الكتابة، وتوفُرِ أدواتها ..

ومن علامات السَّاعةِ التي ظهرت وما زالت مستمرةً: التَّطاولُ في البنيان، وأن تلدَ الأمَةُ ربتها، وأن يعلو الأشرار، جاء في الحديث الصحيح، قال رسولُ الله ﷺ: "منَ اقترابِ السَّاعَةِ أن تُرْفَعَ الأشرارُ ويوضَعَ الأخيارُ"، وفي حديث جبريلَ عليه السلام، حين سألَ عن أمارات السَّاعةِ، فقال ﷺ: سأُخبرُكَ عن أشراطِها، إذا ولدتِ الأمَةُ ربَّتَها فذلكَ من أشراطِها، وإذا كانتِ العُراةُ الحُفاةُ رُؤوسَ الناسِ، فذاكَ من أشراطِها، وإذا تَطاوَلَ رِعاءَ البُهمِ في البنيانِ، فذاكَ من أشراطِها"، وفي روايةٍ



لمسلم: "أن تلدَ الأمةُ ربَّتَها، وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاولونَ في البنيانِ"، وصدق أبو القاسم ﷺ، فهاهم من كانوا بالأمس رُعاةَ الغنمِ والابل، يملكون اليومَ أطولَ الأبراجِ في العالم ..

ومن علامات السَّاعةِ التي ظهرت وما زالت مُستمرةً: ضياعُ الأمانةِ، ففي صحيح البخاري، قال رسولُ اللهِ ﷺ: "إذا ضُيعت الأمانةُ فانتظر السَّاعة"، قال: كيفَ إضاعتها يا رسول الله؟! قال: "إذا أُسندَ الأمرُ إلى غير أهلهِ فانتظر السَّاعة" ..

ومن علامات السَّاعةِ المستمرة: التشبهُ بالكفار، ففي صحيح البخاري: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَأْخُذَ أُمَّتي بأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَها، شِبْرًا بشِبْرٍ وذِراعًا بذِراعٍ، فقِيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، كَفارِسَ والرُّومِ؟ فقالَ: ومَنِ النَّاسُ إلَّا أُولَئِكَ"، وعن المستوردِ بن شدادٍ رضي الله عنه،

قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا تَتْرُكُ هذه الأمةُ شيئًا من سُنَنِ الأولينَ حتى تأتيَه"، والحديثُ صححهُ الألباني ..

وصدقَ اللهُ، ومن أصدقُ من الله قيلا: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة:120] ..

ومن علامات السَّاعةِ التي ظهرت وما زالت مُستمرةً، وهي من أخطرها: ظهورُ النساءِ الكاسياتِ العاريات، فعنِ أبي هريرَةَ قال: "مِنْ أشراطِ السَّاعةِ أنْ يَظْهَرَ الشحُّ والفُحشُ ويؤتَمَنَ الخائِنُ وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ وتظْهَرَ ثِيَابٌ تَلْبَسُها نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ"، وفي صحيح مُسلم، قال ﷺ: "صِنفانِ من أهل النارِ لم أرهما؛ قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر، يضربونَ بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات، مُميلاتٌ مائلات، رؤوسُهن كأسنمة



البُختِ المائلة، لا يدخُلن الجنَّةَ، ولا يجدنَ ريحها، وإنَّ ريحها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا"، وتأمَّلوا دِقةَ الوصفِ، فقولهُ: كاسياتٌ عاريات: أي أنَّ بعضَ أجسادِهن مغطى، والبعضُ الآخرُ مكشوف، فهي كاسيةٌ عارية، وذلك أشدُّ في الفتنة، وقولهُ: مُميلاتٌ مائلات، وصفٌ دقيقٌ لمن تلبس الكعبَ العالي فتميلُ بجسمها، وإذا مشت به مالَ إليها من في قلبه مرضٌ، فهي على الحقيقة: مائلةٌ في نفسها، مُميلةٌ لغيرها، وكُلُّ هذا من علامات النبوةِ، ودلائلِ صدقهِ ﷺ ..

ومن العلامات المستمرة: انتشارُ الفُحش، وقطعُ الأرحام، وأن يُؤتمَنَ الخائنُ ويُخوَّنُ الأمينُ، ففي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "مِن أشراطِ السَّاعةِ الفُحْشُ والتَّفحُّشُ وقطيعةُ الأرحامِ وتخوينُ الأمينِ وائتمانُ الخائنِ"، والفحشُ هو ما يشتدُّ قُبحهُ ..

ومن العلامات المستمرة: انتشارُ الربا والزنا والخمر؛ ففي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "بين يدَيِ السَّاعةِ يظهرُ الرِّبا والزِّنا والخمرُ"، وفي صحيح مُسلم قال رسولُ اللهِ ﷺ: "مِنْ أشْراطِ السَّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَثْبُتَ الجَهْلُ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ، ويَظْهَرَ الزِّنا"، ويُلحقُ بهذا التَّهاون بالكبائر واستحلالُها: ففي صحيح البخاري: قال ﷺ: "ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلونَ الحِرَ (أي الزنا)، والحرير، والخمر، والمعازف"، وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "ليشرَبنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمرَ يُسمُّونَها بغيرِ اسمِها، يُعزَفُ علَى رءوسِهِم بالمعازفِ والمغنِّياتِ، يخسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الأرضَ، ويجعَلُ منهمُ القِرَدةَ والخَنازيرَ" ..

ومن العلامات المستمرة: كثرةُ الكذبِ، وتقاربُ الأسواقِ، ففي الحديث الصحيح، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "لا تَقومُ السَّاعةُ حتى تَظهَرَ الفِتَنُ، ويَكثُرَ الكَذِبُ، وتتقارَبَ الأسواقُ، ويتقارَبَ الزَّمانُ، ويَكثُرَ الهَرْجُ. قيلَ: وما الهَرْجُ؟ قال: القَتلُ" ..



ومن العلامات التي ظهرت ولا زالت مُستمرةً: زوالُ الجبالِ، فعن سُمرَةَ بن جُندبٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تزولَ الجبالُ عن أماكنِها، وترَونَ الأمورَ العظامَ الَّتي لم تَكونوا ترَونَها"، والحديثُ صححهُ الألباني ..

ومن العلامات التي ظهرت ولا زالت مُستمرةً: صِدقُ رؤيا المؤمن: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا اقتربَ الزمانُ لم تكذْ رؤيا الرجلِ المسلمِ تكذبُ"، صححهُ الألباني ..

ومن أشراط السَّاعةِ التي ظهرت وما زالت مُستمرةً: زخرفةُ المساجدِ والتباهي بها، ففي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "إنَّ مِن أشراطِ السَّاعةِ أن يَتباهى النَّاسُ في المساجدِ"، صححهُ الألباني ..

وهكذا نلحظُ أنَّ كُلَّ حديثٍ من أحاديث المصطفى ﷺ عن علاماتِ السَّاعةِ هو في الحقيقةِ اعجازٌ غيبيٌ، ودليلٌ من دلائل

صدقهِ ﷺ، يقوي الإيمان، ويزيدُ المسلمَ ثباتاً وتسليماً، وتأمّل قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب:22] ..

كما أنَّ أشراطَ السَّاعةِ وعلاماتها تؤكدُ على المؤمن أن يُبادرَ بالتوبة والإكثارِ من الأعمالِ الصالحة؛ فالفتنُ القادمةُ شديدةٌ كقطع الليلِ المظلم، وما لم يتهيأ لها المسلمُ ويُقوي إيمانهُ فقد يُفتنُ ويُصرفُ عن دِينه، ففي حديث الفتن: "يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، يبيعُ دينهُ بعرضٍ من الدنيا قليل" ..

نسألُ اللهَ العافيةَ والسَّلامة ..

القسمُ الثالث: العلاماتُ التي لم تظهر بعدُ

وهي علاماتٌ كثيرةٌ، أولها: المجاهرةُ بالفحش والزنا، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قالَ: قالَ الرسولُ ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى



يتسافَدوا في الطَّريقِ تسافُدَ الحميرِ"، صححه الألباني، وفي الحديث الصحيح، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "والذي نفسي بيدِه لا تَفنى هذه الأمةُ حتى يقومَ الرجلُ إلى المرأةِ فيفترِشُها في الطريقِ فيكون خيارُهم يومئذٍ من يقولُ لو واريتَها وراءَ هذا الحائطِ" ..

ومن علاماتِ السَّاعةِ التي لم تظهر بعدُ: انتفاخُ الأهلةِ، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مِن اقترابِ السَّاعةِ انتفاخُ الأَهِلَّةِ، وأن يُرَى الهلالُ لليلةٍ، فيقالُ: هو ابنُ ليلتيْنِ"، صححهُ الألباني، ومفهومُ الحديثِ أن الانتفاخَ يشملُ الأهلةَ كُلَّها، وليسَ أحياناً ..

ومن علامات السَّاعةِ التي لم تظهر بعدُ: كثرةُ الصواعِقِ والمطرُ بلا نباتٍ، فعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "تَكثُرُ الصَّواعِقُ عِندَ اقْتِرابِ السَّاعةِ، حتَّى يَأتِيَ الرَّجُلُ القَومَ، فيقولَ: مَن صَعِقَ قِبَلَكمُ الغَداةَ؟ فيَقولون: صَعِقَ فُلانٌ

وفُلان"، وعن انس بن مالك ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تَقومُ السَّاعةُ حتى يُمطَرَ النَّاسُ مَطرًا عامًّا، ولا تُنبِتَ الأرضُ شيئًا"، صححه الألباني ..

ومن علاماتِ السَّاعةِ التي لم تظهر بعدُ: كثرةُ الزلازِلِ والبلابلِ والأمورُ العِظام، فعن عبداللهِ بن حَوالةَ الأزدي ﷺ قال: وضعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدهُ على رأسي وقال: "يا ابنَ حَوَالَةَ: إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نَزَلَتِ الأرضَ المقَدَّسَةَ، فقد دَنَتِ الزلازِلُ، والبَلابلُ، والأمورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ من الناسِ من يَدِي هذه مِن رأسِكَ"، صححه الألباني ..

ومن علاماتِ السَّاعةِ التي لم تظهر بعدُ: كثرةُ النساءِ بشكلٍ كبير، فعن أنسِ بن مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تَقومُ السَّاعةُ حتى يُرفَعَ العِلمُ، ويَظهَرَ الجهلُ، ويَقِلَّ الرِّجالُ،

وتَكثُرَ النِّساءُ، حتى يَكونَ قَيِّمَ خمسينَ امرأةً رجُلٌ واحدٌ"، والحديثُ في البخاري ..

ومن علاماتِ السَّاعةِ التي لم تظهر بعدُ: تكلُّمُ السِّباعِ والجماداتِ، فعن أبي سعيدٍ الخدري ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "والَّذي نفسي بيدِه، لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يُكلِّمَ السِّباعُ الإنسَ، ويُكلِّمُ الرَّجلُ عذَبَةَ سوطِه، وشِراكَ نعلِه، ويُخبِرُه فخِذُه بما حدَّثَ أهلُه بعدَهُ"، وفي روايةٍ: "والذي نفسي بيده لا تقومُ السَّاعةُ حتى يخرجَ أحدكُم من أهلهِ، فيخبرهُ نعلهُ، أو سَوطهُ، أو عصاهُ بما أحدَثَ أهلهُ بعدهُ"، صححهُ الألباني، وإذا كانت كمِراتُ المراقبةِ تفعلُ شيئاً من ذلك، فإنَّ ما في الحديثِ يختلف عن ذلك كثيراً ..

ومن علاماتِ السَّاعةِ التي لم تظهر بعدُ: تمني الموتَ، وذلك من شِدّةِ البلاءِ، فعن أبي هريرةَ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "لا



تقومُ السَّاعةُ حتى يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ، فيقولُ يا ليتني مكانَهُ"، صححهُ الألباني، وفي صحيحِ مُسلم: "والّذي نفْسِي بِيدِهِ، لا تَذْهبُ الدنيا حتى يَمُرَّ الرَّجُلُ على القَبْرِ، فيَتمَرَّغُ عليه، ويَقولُ: يا ليْتَنِي كُنتُ مكانَ صاحِبَ هذا القبْرِ، وليس بهِ الدّين، إلَّا البلاءُ"، والمعنى: أنَّه لا يَتمنَّى الموتَ تديُّنًا، وإنَّما لِما نَزَلَ به من البَلاءِ وفسادِ الحالِ، وكونهُ يفعلُ ذلك عند القبر، دليلٌ على شدَّةِ البلاء، ففي الحديث الصحيح، قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تكونَ السَّجدةُ الواحدةُ خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها"، وهذا لقلة الساجدين، وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "يأتِي علَى النَّاسِ زمانٌ الصَّابرُ فيهِم على دينِهِ كالقابِضِ على الجمرِ"، صححهُ الألباني ..

ومن العلاماتِ التي لم تظهر بعدُ: الخسفُ والمسخُ والقذفُ، فعن عبداللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "بين يديِ السَّاعةِ مسخٌ وخَسفٌ وقذفٌ"، صححهُ الألباني، وعن

أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "لَيَشْرَبَنَّ ناسٌ من أُمَّتِي الخمرَ يُسَمُّونَها بغيرِ اسمِها، يُعْزَفُ على رؤُوسِهِم بالمعازِفِ والْمُغَنِّيَاتِ يَخْسِفُ اللهُ بهمُ الأرضَ ويجعلُ منهم قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ"، صححهُ الألباني، وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "لَيكوننَّ في هذه الأُمَّةِ خسفٌ، وقذفٌ، ومسخٌ، وذلكَ إذا شرِبُوا الخمورَ، واتَّخذوا القَيْناتِ، وضربُوا بالمعازِفِ"، صححهُ الألباني ..

ومن العلامات التي لم تظهر بعد: قتالُ اليهودِ وإخراجُهم من فلسطينَ بإذن اللهِ تعالى، ففي الصحيحينِ، من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقاتِلَ المسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المسْلِمُونَ حتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِن وراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فيَقولُ الحَجَرُ أوِ الشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ يا عَبْدَ اللهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعالَ فاقْتُلْهُ، إلَّا الغَرْقَدَ، فإنَّه مِن شَجَرِ اليَهُودِ"، وفي القرآنِ العظيمِ خبرٌ مؤكدٌ أنَّ المسلمينَ

سيدخلونَ المسجدَ الأقصى مرةً أخرى، ويُدمِروا ما فعلهُ اليهودُ تدمِيراً، ويتبروا ما علو تتبيرا ..

ومن العلامات التي لم تظهر بعد: انحسارُ الفراتِ عن جبلٍ من ذهب، ففي صحيح مُسلم، عن أبي هريرةَ ﵁، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتى يحسِرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ، يقتتلُ الناسُ عليه، فيُقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعونَ، ويقولَ كلُّ رجلٍ منهم: لعلي أكونُ أنا الذي أنجو"، وفي البخاري ومُسلم: "يُوشِكُ الفُراتُ أنْ يَحْسِرَ عن جَبَلٍ مِن ذَهَبٍ، فمَن حَضَرَهُ فلا يَأْخُذْ منه شيئًا" ..

ومن العلامات التي لم تظهر بعد: خروجُ رجلٍ من قحطان يسوقُ الناسَ بعصاه، ففي الصحيحين، من حديث أبي هريرةَ ﵁، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتى يخرجَ رجلٌ من قحطانَ يسوقُ النَّاسَ بعصاهُ"، والمعنى كما يقولُ

العلماءُ: أنَّ النَّاسَ تنقادُ لهُ بالقوة، وليس في الحديثِ ما يدلُ على صلاحِهِ أو فسادهِ، وإن كانَ فيهِ ما يدلُ على حزمه وشِدَّتهِ، وهناكَ حديثٌ آخرَ صحيح، يرويهِ أبو هريرةَ أيضاً: قال: قال ﷺ: "لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى يَملِكَ رجلٌ من الموالِي يُقالُ لهُ جَهْجَاهُ"، والجهجَاه: هو جهوريُ الصَّوتِ، شديدُ النبرةِ، فهل القحطانيُّ والجهجاهُ شخصٌ واحدٌ أم شخصين، اللهُ أعلمُ بالصواب ..

ومن العلاماتِ التي لم تظهر بعدُ: عودةُ جزيرةِ الإسلامِ مُروجاً وانهاراً، ففي صحيحِ مُسلمٍ، قال عليه الصلاةُ والسلام: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَكْثُرَ المالُ ويَفِيضَ، حتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بزَكاةِ مالِهِ فلا يَجِدُ أحَدًا يَقْبَلُها منه، وحتَّى تَعُودَ أرْضُ العَرَبِ مُرُوجًا وأَنْهارًا" ..

ولا شك أنَّ كلَّ حديثٍ من أحاديث أشراطِ السَّاعةِ يستحقُ وقفةً طويلةً، لأنهُ يبيّنُ لنا أهميةَ الثباتِ على الدّين، وأنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى وعيٍّ كبيرٍ، وإلى عملٍ جادٍ، وأنَّ على المؤمنِ أن يُبادرَ بالتَّوبةِ النَّصوحِ، وأن يُكثرَ من الأعمالِ الصالحةِ؛ فالفتنُ شدِيدةٌ وإذا لم يتهيأ لها المؤمنُ ويُقويّ إيمانهُ، ويتعلقُ بربهِ أكثرَ وأكثر، فقد يُفتنُ ويُصرَفُ عن دِينهِ عياذاً باللهِ، ففي حديثِ الفتن: "يُصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، يبيعُ دِينهُ بعرَضٍ من الدُّنيا قليل"، وفي مُحكمِ التنزيلِ: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال:25].

القسمُ الرابع: العلاماتُ شبه الكبرى

وهي من العلامات التي لم تظهر بعد، ولكنها تتميزُ بقوة دِلالتها، واتساعَ نِطاقَ تأثيرها، وأنها شديدةُ القربِ من الآياتِ الكبرى، بل هي بمثابة البوابةِ لها، بل إنَّ بعضها يظهرُ في وسط

الآياتِ الكبرى كما سنرى لاحقاً، ولذلك يمكنُ أن نسميها: بشبيهة العلاماتِ الكبرى، وسيأتي الحديث عنها بحسب وقتِ ظُهورها .. فأولها:

ظهورُ المهديِّ عليه السَّلام

فظهورُ المهدي عليه السَّلامُ هو أولُ علاماتِ السَّاعةِ شِبهِ الكبرى، وهو بوابةُ بقيةِ العلامات، يقولُ الشيخُ ابن بازٍ رحمه الله: أمرُ المهديِ معلومٌ، والأحاديثُ فيه مُستفيضةٌ، بل مُتواترةٌ مُتعاضِدةٌ، فأمرهُ ثابتٌ، وخروجهُ حقٌّ، يَخرجُ في آخر الزمانِ، فيقيمُ العدلَ والحقَّ، ويمنعُ الظلمَ والجور، وينشُر اللهُ به لواءَ الخيرِ على الأمَّة، فعن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لو لم يبقَ منَ الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللَّهُ ذلِكَ اليومَ حتَّى يَبعثَ فيهِ رجلًا منِّي أو من أَهْلِ بيتي يواطئُ اسمُهُ اسمي، واسمُ أبيهِ اسمُ أبي، يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظُلمًا

وجَورًا"، صححه الألباني، وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: "المهديُّ منِّي، أجْلَى الجبهةِ، أقْنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كما مُلئتْ ظلمًا وجورًا، يملِك سبعَ سنينَ"، صححهُ الألباني، وفي روايةٍ صحيحةٍ قال رسولُ الله ﷺ: "المهْديُّ منَّا أهلَ البيتِ، يُصلِحُه اللهُ في ليلةٍ"، وفي صحيح مُسلمٍ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: "يَعُوذُ عائِذٌ بالبَيْتِ، فيُبْعَثُ إلَيْهِ بَعْثٌ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ خُسِفَ بهِم"، قالَ أبو جَعْفَرٍ: "واللَّهِ إنَّها لَبَيْداءُ المدِينَةِ"، وهذا الخسفُ هو علامةُ ظهورِ المهدي كما يقولُ العلماء، وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "يخرجُ في آخر أمتي المهدي، يسقيهِ اللهُ الغيثَ، وتُخرِجُ الأرضُ نباتها، ويُعطِي المالَ صِحاحاً، وتكثرُ الماشيةُ، وتعظُمُ الأمُّةُ، يعيشُ سبعاً، أو ثمانياً"، صححهُ الألباني، وفي صحيح مُسلمٍ، قال ﷺ: "يكونُ في آخرِ أمتي خليفةٌ، يَحثي المالَ حثْيًا، ولا يَعُدُّه عدًّا"، يقولُ ابن حجرٍ رحمهُ الله: يعملُ المهديُّ بسُنة

النبي ﷺ فلا يتركُ سُنةً إلا أقامها، ولا بدعةً إلا رفعها، يقومُ بالدِّين آخرَ الزمانِ كما قامَ به النبيُّ ﷺ أولَهُ، يملكُ الدنيا كُلها كما مَلك ذو القرنينِ وسُليمان، يرضى عنهُ ساكِنُ السماءِ وساكِنُ الأرضِ، ويمكِّنُ اللهُ لأهلِ الإسلامِ، ويُنعمُ عليهم برغد العيش، فتُنزِلُ السماءُ بركتها، وتُخرِجُ الأرضُ خيراتها ..

الملحمةُ الكبرى

ومن علاماتِ السَّاعةِ شِبهِ الكبرى: الملحمةُ الكبرى، بين المسلمين والروم، ففي الحديث الصحيحِ قالَ ﷺ: "ستُصالِحونَ الرُّومَ صُلحًا آمِنًا حتَّى تَغزوا أنتم وهم عدوًّا مِن ورائِهم فتُنصَرونَ وتسلَمونَ وتغنَمونَ حتَّى تنزِلوا بمَرْجٍ ذي تُلولٍ، فيقولُ قائلٌ مِن الرُّومِ: غلَب الصَّليبُ، ويقولُ قائلٌ مِن المسلِمينَ: بلِ اللهُ غلَب، ويتداوَلونَها، فيثورُ المسلِمُ إلى صليبِهم وهو منهُ غيرُ بعيدٍ فيدُقُّه، وتثُورُ الرُّومُ إلى كاسرِ صليبِهم فيضرِبونَ عُنقَه، ويثُورُ المسلِمونَ

إلى أسلحتِهم فيقتَتِلونَ، فيُكرِمُ اللهُ تلك العِصابةَ بالشَّهادةِ، فيأتونَ مَلِكَهم (أي الروم) فيقولونَ: كفَيْناك جزيرةَ العرَبِ، فيجتَمِعونَ لِلملحمةِ، فيأتونَ تحتَ ثمانينَ غايةً، تحتَ كلِّ غايةٍ اثنا عشَرَ ألفًا"، أي أنهم قرابةَ المليونِ مُقاتل، لذلك ينتشرُ الرعبُ بين المسلمين، وينسحِبُ ثُلث جيشهم، ففي صحيح مُسلم، قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماقِ، أوْ بدابِقٍ، فَيَخْرُجُ إليهِم جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ، مِن خِيارِ أهْلِ الأرْضِ يَومَئذٍ، فإذا تَصافُّوا، قالتِ الرُّومُ: خَلُّوا بيْنَنا وبيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ، فيَقولُ المُسْلِمُونَ: لا، واللَّهِ لا نُخَلِّي بيْنَكُمْ وبيْنَ إخْوانِنا، فيُقاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عليهم أبَدًا، ويُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أفْضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ اللهِ، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أبَدًا"، والمدينةُ التي يخرجُ منها جيشُ المسلمينَ هي دِمشقُ، ففي حديثٍ صحيحٍ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ

فُسطاطَ المسلمين، يومَ الملحمةِ، بالغُوطةِ إلى جانبِ مدينةٍ يُقالُ لها: دِمشقُ، من خيرِ مدائنِ الشَّامِ"..

فَتحُ القسطنطينيةِ وروما

ومن علاماتِ السَّاعةِ شِبهِ الكبرى: فَتحُ القسطنطينيةِ وروما: فعن أبي هريرة ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "سَمِعْتُمْ بمَدِينَةٍ جانِبٌ مِنْها في البَرِّ وجانِبٌ مِنْها في البَحْرِ؟ قالوا: نَعَمْ، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَغْزُوَها سَبْعُونَ أَلْفًا مِن بَنِي إسْحاقَ، فإذا جاؤُوها نَزَلُوا، فَلَمْ يُقاتِلُوا بسِلاحٍ ولَمْ يَرْمُوا بسَهْمٍ، قالوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أحَدُ جانِبَيْها، ثُمَّ يقولوا الثَّانِيَةَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جانِبُها الآخَرُ، ثُمَّ يقولوا الثَّالِثَةَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ، فيُفَرَّجُ لهمْ، فَيَدْخُلُوها فَيَغْنَمُوا" والحديث رواه مسلم، وقال ﷺ: "عمرانُ بيتِ المقدسِ، خرابُ يثربَ، وخرابُ يثربَ، خروجُ الملحمةِ،

وخروجُ الملحمةِ، فتحُ قسطنْطينيَّةِ، وفتحُ القسطنطينيةِ خروجُ الدجالِ"، والحديثُ حسنهُ الألباني، وفي صحيح مسلم، قال ﷺ: "تَغْزُونَ جَزِيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ"، وفي الحديث الصحيح، سُئلَ رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتحُ أولاً أقسطنطينيةُ أو رومية؟ فقالَ ﷺ: "مدينةُ هرقل تُفتحُ أولاً يعني القسطنطينية"..

وإنَّ مما أكدناهُ سابقاً أنَّ أشراطَ السَّاعةِ وعلاماتها تبيِّنُ لنا أهميةَ الثباتِ على الدِّين، وأنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى وعيٍّ كبيرٍ، وإلى عملٍ جادٍ، وأنَّ على المؤمنِ أن يُبادرَ بالتَّوبةِ النَّصوحِ، والإكثارِ من الأعمالِ الصالحةِ؛ فالفتنُ شدِيدةٌ، وإذا لم يتهيأ لها المؤمنُ ويُقويِّ إيمانهُ، ويتعلقُ بربهِ أكثرَ وأكثر، فقد يُفتنُ ويُصرَفُ عن دِينهِ عياذاً بالله، ففي حديثِ الفتن: "يُصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، يبيعُ دِينهُ بعرَضٍ من الدُّنيا قليل"، وفي مُحكمِ



التنزيلِ: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال:25] ..

القسمُ الخامس: الآياتُ الكبرى وما تبقى من العلامات شبه الكبرى

ذكرنا سابقاً ثلاثُ علاماتٍ من العلامات شبهِ الكبرى، يُرجَحُ وقوعها قبل الآياتِ العشرِ الكبرى، وهي ظهورُ المهدي، والملحمةُ الكبرى، وفتحُ القسطنطينيةِ وروما، وبقيَ من هذا النوعِ خمسُ علاماتٍ أخرى، الأولى: ريحٌ لينةٌ تقبضُ أرواحَ المؤمنين جميعاً، والثانية: هدمُ الكعبةِ واستخراجُ كنوزها، والثالثة: خرابُ المدينةِ وهُجرانُها، والرابعة: رفعُ المصاحِفِ وذهابُ الإسلام، والخامسةُ: العودةُ لعبادة الأوثانِ والاصنام .. ومن خلال التأمُلِ في احاديث هذه العلامات، والحديثِ الخاصِ

بالآيات العشرِ الكبرى، فإنَّ العلاماتِ الخمسِ تتداخلُ كثيراً مع الآيات العشرِ الكبرى من حيثُ الترتيب ..

فبعدَ خروجِ المهديِّ وانتصارهِ على الرومِ في الملحمةِ الكبرى، وفتحهِ للقسطنطينية وروما، وبينما هو عائدُ للقدسِ يخرجُ الدَّجالُ من إيران، وبينما المهدي يُصلي بالمسلمين، ينزلُ عيسى عليه السلامُ فيقتلُ الدَّجال، وما أن تنتهي مُشكلةُ الدَّجالِ حتى يخرجَ يأجوجُ ومأجوجُ فيعيثونَ في الأرضِ فساداً، فيدعو عليهم نبي اللهِ عيسى عليه السَّلامُ فيُهلِكهم اللهُ عن آخرهم، ويُرسلُ اللهُ مطراً يُطهرُ الأرضَ من نتنهم، فتنزلُ البركةُ ويكثرُ الزرعُ والمواشي، ويَفيضُ المال، ولا يبقى في الأرض إلا الإسلام، وبعدَ موتِ عيسى عليه السَّلامُ يبدأُ الإسلامُ بالضعفِ شيئاً فشيئاً، وتبدأ بقيةُ الآياتِ الكبرى بالظهورِ، كالدُّخانِ وطلوعِ الشمسِ من مغربها، وخروجِ الدَّابةِ تُكلمُ النَّاسَ، وتضعُ على وجوهِهم علامةً ظاهرةً تبينُ أمؤمنٌ هو أم كافر، ثم يعودُ الإسلامُ غريباً



وترفعُ المصاحِفُ، ويعودُ الشركُ وعبادةُ الأصنام، فيرسلُ اللهُ ريحاً لينةً تقبضُ أرواحَ المؤمنين جميعاً، فلا يبقى إلا شرارُ الخلق، ثم يخرجُ ذو السويقتينِ من الحبشة، فيهدمُ الكعبةَ ويستخرجُ كنوزها، ثم تُهجرُ المدينةُ ولا يبقى فيها إلا العوافي والسِّباع، ثم تقعُ ثلاثةُ خُسوفاتٍ عظميةٍ، خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرة العرب، وآخرُ الآياتِ نارٌ عظيمةٌ تخرجُ من عدن تسوقُ الناسَ إلى محشرهم ..

كان هذا ترتيباً اجتهادياً لما تبقى من الآيات والعلامات، وفيما يلي بإذن اللهِ تفصيلٌ لبيانها مع الأحاديثِ الصحيحة ..

الدَّجالُ: أولُ الآياتِ الكبرى

الدَّجالُ: هو الأعورُ الكذاب، مسيحُ الضلالة، عليه لعنةُ الله، ومن تأمَّلَ الأحاديثَ الصحيحةَ التي وردت فيه، يجدُ من أوصافهِ انَّه شابٌ جسيمٌ عقيمٌ، عظيمُ الخِلقةِ، عريضُ النَّحرِ،



قصيرٌ مُنحني، أفحجُ، متباعدُ الساقينِ، جعدُ الشَّعرِ، أجلى الجبهةِ، كِلا عينيهِ عوراءَ مُشوَّهةٍ، احداهما مطموسةٌ وبها ظَفَرةٌ غليظةٌ، والأخرى طافيةٌ كأنها عنبة، مكتوبٌ بين عينيهِ كافر، يقرأها الكاتِبُ وغير الكاتِبِ، وهو الآن محبوسٌ في احدى الجزرِ النائية، يخرجُ في زمنِ اختلافٍ وفُرقةٍ، وأولُ خروجهِ في خُراسان في شمال إيران، ثم يأتي أصفهانَ جنوبَ إيران، فيتبعهُ منها سبعونَ ألف يهودي، ثم يدخلُ بلادَ العربِ من جهة العراقِ والشام، فيعيثُ يميناً ويعيثُ شمالاً، يدَّعي النُّبوةَ أولاً، ثمَّ يدَّعي الألوهية، كما أنَّ من فتنتِه أنَّ معهُ جَنَّةً ونارًا، فنارُه جنةٌ، وجنتُه نارٌ، ويأتي بالخوارق، والأمورِ العِظام، وينتشرُ شرهُ، وتعظمُ فتنتهُ، وتُطوى لهُ الأرض، ويُسرعُ فيها، حتى يظهرَ عليها كلَّها، ويكثرُ أتباعه، ويمكثُ أربعين يوماً، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ، جاء في الحديث الصحيح، قال ﷺ: "يا أَيُّها الناسُ، إنها لم تكن فتنةٌ على وجهِ

الأرضِ، منذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أَعْظَمَ من فتنةِ الدَّجَّالِ"، وفي البخاري قال ﷺ: "ما بُعِثَ نَبِيٌّ إلَّا أنْذَرَ أُمَّتَهُ الأعْوَرَ الكَذّابَ، ألا إنَّه أعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ ليسَ بأَعْوَرَ، وإنَّ بيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كافِرٌ"، وفي صحيح مسلم: قال ﷺ: "يَأْتِي المَسِيحُ مِن قِبَلِ المَشْرِقِ، هِمَّتُهُ المَدِينَةُ، حتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ المَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ"، وفي صحيح مسلم أيضاً، من حديث المهديّ والملحمةِ، قال ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأعْماقِ، أوْ بدابِقٍ، فَيَخْرُجُ إليهم جَيْشٌ مِنَ المَدِينَةِ، (أي من دمشق)، قال ﷺ: "فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنائِمَ، قدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بالزَّيْتُونِ، إذْ صاحَ فِيهِمِ الشَّيْطانُ: إنَّ المَسِيحَ قدْ خَلَفَكُمْ في أهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ، فإذا جاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبيْنَما هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ﷺ، فأمَّهُمْ، فإذا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذابَ كما

يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ، فلوْ تَرَكَهُ لانْذابَ حتَّى يَهْلِكَ، ولَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بيَدِهِ، فيُرِيهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ" ..

ثاني الآياتِ الكبرى: نزولُ نبيِّ اللهِ عيسى عليه السَّلام

وعيسى عليه السَّلامُ هو رابعُ الرسلِ فضلاً ومكانة عند الله، بعد محمدٍ وإبراهيمَ وموسى عليهم جميعاً أفضلُ الصلاةِ واتمُّ التَّسليم، فحين استوفى أجلَهُ الأولَ، رَفعهُ اللهُ جسداً وروحاً، وهو حيٌّ الآنَ في السماءِ الثانيةِ، وبقيَ لهُ أجلٌ آخرَ يستوفيهِ إذا نزلَ في آخرِ الزمانِ ثم يموتُ ويدفنُ، جاء في حديثٍ صحيحٍ: قال ﷺ: "وإنَّه نازلٌ، فإذا رأيتموهُ فاعرفوه: رجلٌ مربوعٌ، إلى الحُمرةِ والبياضِ، بين مُمصَّرتَيْن (ثوبين مائلين للصفرة)، كأنَّ رأسَهُ يقطرُ، وإن لم يُصِبْهُ بَللٌ، فيُقاتِلُ النَّاسَ على الإسلامِ، فيدُقُّ الصَّليبَ، ويقتُلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجِزيةَ، ويُهلِكُ اللهُ في زمانِه المِللَ كلَّها، إلَّا الإسلامَ، ويُهلِكُ المسيحَ



الدَّجَّالَ، فيمكُثُ في الأرض أربعينَ سنةً ثمَّ يُتوفَّ فيُصلِّي عليه المسلمون"، قال تعالى عنهُ في سورة الزخرف: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف:61]، وقال تعالى عنه في سورة النساء: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء:159]، أي أنَّ اليهودَ والنصارى سيسلمون جميعاً عند نزوله، وفي صحيح مسلم، وعند الحديث عن الدجال: قال ﷺ: "فبيْنما هو كذلكَ إذْ بَعَثَ اللَّهُ المسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ (ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ بِوَرْسٍ وزَعْفَرَانٍ)، وَاضِعًا كَفَّيْهِ على أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ"، وجاء في حديثٍ صححهُ الألباني: قال عليه الصَّلاة والسَّلام: "فبَيْنَما

إمامُهم قد تَقَدَّم يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريمَ الصُّبْحَ، فرجع ذلك الإمامُ يَنْكُصُ يَمْشِي القَهْقَرَى ليتقدمَ عيسى، فيضعُ عيسى يدَه بين كَتِفَيْهِ، ثم يقولُ له: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فإنها لك أُقِيمَتْ، فيُصَلِّى بهم إمامُهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتَحوا البابَ، فيَفْتَحُون ووراءَه الدَّجَّالُ، معه سبعونَ ألفَ يهوديٍّ، كلُّهم ذو سيفٍ مُحَلًّى وسَاجٍ (طيلسان)، فإذا نظرَ إليه الدَّجَّالُ ذابَ كما يذوبُ المِلْحُ في الماءِ. وينطلقُ هاربًا، فيُدْرِكُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ، فيقتلُه، فيَهْزِمُ اللهُ اليهودَ، فلا يَبْقَى شيءٌ مِمَّا خلقَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ يَتَوَاقَى به يهوديٌّ، إلا أَنْطَقَ اللهُ ذلك الشيءَ، لا حَجَرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابةٌ، إلا الغَرْقَدَةُ، فإنها من شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ، إلا قال: يا عبدَ اللهِ المسلمَ هذا يهوديٌّ فتَعَالَ اقتُلْه. فيكونُ عيسى ابنُ مريمَ في أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وإمامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصليبَ، ويَذْبَحُ الخِنْزيرَ، ويضعُ الجِزْيَةَ (يلغيها)، ويتركُ الصدقةَ، فلا يُسْعَى على شاةٍ ولا

بعيرٍ، وتُرْفَعُ الشحناءُ والتباغُضُ، وتُنْزَعُ حِمَةُ كلِّ ذاتِ حِمَةٍ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ يدَه في فِيِّ الحَيَّةِ، فلا تَضُرُّه، وتَضُرُ الوليدةُ الأسدَ فلا يَضُرُّها، ويكونُ الذئبُ في الغنمِ كأنه كلبُها، وتُمْلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ كما يُمْلَأُ الإناءُ من الماءِ، وتكونُ الكلمةُ واحدةً، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ، وتضعُ الحربُ أوزارَها، وتُسْلَبُ قريشٌ مُلْكَها، وتكونُ الأرضُ كفاثورِ الفِضَّةِ، تُنْبِتُ نباتَها بعَهْدِ آدمَ حتى يجتمعَ النَّفَرُ على القِطْفِ من العنبِ فيُشْبِعُهم، ويجتمعُ النَّفَرُ على الرُّمَّانةِ فتُشْبِعُهم" ..

ثالثُ الآياتِ الكبرى: خروجُ يأجوجَ ومأجوج

يأجوجُ ومأجوجُ كما جاء في الأحاديث الصحيحة أُمتانِ من بني آدم، أعدادُهم ضخمةٌ هائلةٌ جداً، عِراضُ الوجوهِ، صِغارُ العيونِ، حُمرُ الشُعورِ، كأنَّ وجوهَهم المجانُّ المطرَّقة، همجٌ متوحشون، شديدٌ كُفرهم، كثيرٌ إفسادُهم، قويةٌ أجسادُهم، حتى

أنَّهُ لا قُدرةَ لأحدٍ بقتالهم، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء:96]، وجاءَ في الحديث الصحيح، فيما بعد الدَّجال، قال ﷺ: "فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إلى عِيسَى: إِنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيَقولونَ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حتَّى يَكونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِن مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَومَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ، فيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأرْضِ، فلا يَجِدُونَ في الأرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى اللهِ، فيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ

شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأرْضَ حتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيومَئذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ (اللَّبَنُ)، حتَّى أنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ" ..

ولمن يسألُ اين يسكنُ هؤلاء الآن، ولم لا نراهم وهم بتلك الكثرةِ الكاثرة، وماذا يأكلون، وكيف يعيشون الآن، فالجواب: أنَّ وجودهَم وخروجهَم ثابتٌ في الكتاب والسُنَّة، أمَّا مكانُ وجودِهم على التَّحديد، فهو من علم الغيب، الذي أخفاهُ اللهُ عنَّا، كما أخفى عنا عالمَ الملائكة، وعالمَ الجنَّ، وعالم الأرواح، وغيرها من العوالم رغم وجودهم بالقرب منا، قال تعالى:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 85] ..

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وتقوى، ووفقنا لما تحب وترضى، ونجنا من الفتن ومن مضلات الهوى ..

رابعُ الآياتِ الكبرى: الدُّخان

فبعد نهايةِ يأجوجَ ومأجوجَ، يعمُّ السَّلامُ ولا يبقي إلا الإسلام، وتكونُ الكلمةُ واحدةً، وتضعُ الحربُ أوزارَها، وتحِلُّ البركةُ في الأرض، ويستمرُ عيسى عليه السلامُ حكماً عدلاً أربعينَ سنةً، ثم يموتُ ويُصلى عليه ويدفن، ثم يعقبهُ رجلٌ صالحٌ يسيرُ على هديه، فإذا ماتَ أخذت الأمورُ من بعدهِ بالتَّدهور والخراب، وينتشرُ الضلالُ والفسادُ شيئاً فشيئاً، ثم تبدأُ بقيةُ الآياتِ الكبرى بالظهور تباعاً ..



وليس هناك ترتيبٌ مؤكدٌ لخروجها، لكن المتأمِّلَ يخمنُ أن تكونَ آيةُ الدُّخانِ هي من يظهرُ قبل غيرها، يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان:10-11]، فهي إذن آيةٌ عظيمةٌ، ظاهرةٌ بينة، وهي كما جاء في الحديث الصحيحِ من الآيات العشرِ الكبرى، فهي آيةٌ عامة، يصلُ أثرها لأهل الأرض جميعاً، لقوله تعالى: {يَغْشَى النَّاسَ}، وهي نوعٌ من العذاب الشديد، لم يرد له تفسيرٌ محدد، لقوله تعالى: {يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان:11]، وإن كان جاءَ في الأثر: أنها تملأُ ما بين السماء والأرض، ولا يجدُ المؤمنُ منهُ إلا كالزكمة، وأمَّا الكافرُ فتثقبُ مسامِعه .. ولا شكَّ أنَّ هذه الآيةَ العظيمةَ ستقعُ بعد موتِ عيسى عليه السَّلام، وبعدَ أن يضعف الإسلامُ، وينتشرُ الضلالَ والشرك، وبعد وقوعها سيعودُ النَّاسُ إلى ربهم، ويُعلِنوا توبتهم، فيكشفُ الله العذابَ عنهم، لكنهم سُرعانَ ما يعودون

لضلالهم وغِّيهم، قال تعالى في الآية بعدها: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان:15]، وقد ووردت أخبارٌ عن تفاصيل هذا الدخانِ كلونه، ومدةُ بقاءه، وما يفعله بالنَّاس، ولكنها أخبارٌ لا تصح ..

خامسُ الآياتِ الكبرى: طلوعُ الشمسِ من مغربها

خروجُ الشمسِ من جهة المغربِ هي أعظمُ الآياتِ وأكبرها أثراً، فلا يراها أحدٌ من الناس إلا آمن، ففي صحيح البخاري، قال ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعُونَ، فَذلكَ حِينَ: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام:158]، فطلوعُ الشمسِ من مغربها هو أولُ الآياتِ الكبرى المؤذنةِ بتغير أحوالِ العالم، ومقدمةٌ لقيامِ الساعةِ، قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ



مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} [غافر: 84-85]، وفي صحيح مُسلم، قال ﷺ: "إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا"، وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنفعُ نفسًا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قبلُ أو كَسبَتْ في إيمانِها خيرًا: طُلوعُ الشمسِ من مَغرِبِها، والدَّجَّالُ، ودابَّةُ الأرضِ"، قال الامام ابن كثير: "فهذا دليلٌ على أن من أحدثَ إيماناً أو توبةً بعد طلوعِ الشمسِ من مغربها لا تُقبلُ منه"، نسألُ اللهَ العافيةَ والسَّلامة ..

سادسُ الآياتِ الكبرى: خروجُ دابة الأرض

ففي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجًا طلوعُ الشَّمسِ من مغربِها أو الدَّابَّةُ على النَّاسِ ضُحًى، فأيَّتُهما

كانت قبل صاحبتِها، فالأخرَى على أثرِها"، فآيةُ الدَّابةِ من الآيات الكبرى التي يعمُّ أثرها جميعَ النَّاس، وهي ثابتةٌ في الكتابِ والسُنَّة، وهي مخلوقٌ مهولٌ، فريدةٌ في شكلها، وفي أفعالها، وتعتبرُ من خوارق العادات، الغيرِ مألوفةِ للنَّاس، ولذلك ستُحدِثُ أثراً بالغاً عند ظهورها .. ولم يثبت في وصفها أو مكانِ خروجها أو مُدةِ مُكثها حديثٌ صحيح، لكنها كما قالَ اللهُ تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل: 82]، فهي دابةُ عظيمةٌ تخرجُ من الأرض، تُكلِّمُ النَّاس، أي تُخاطِبهم بكلامٍ مفهوم، وهي كذلك تَكْلِمُهم أي تَسِمُهم وسماً على وجوهِهم، وسماً يميزُ المؤمنٌ من الكافر، وفي الأثرِ أنَّها تسِمُ أنفَ الكافر، وتجلو وجه المؤمن، حتى يتنادى النَّاسُ بيا مؤمن أو يا كافر، قال ﷺ: "تَخرُجُ الدَّابَّةُ فتَسِمُ النَّاسَ على خَراطيمِهم"، صححهُ الألباني، قال ابن حجرٍ رحمه الله: طلوعُ الشمسِ من مغربها

يسدُّ بابَ التوبة، فتجيءُ الدَّابةُ فتميزُ بين المؤمنِ والكافر، تكمِيلاً للمقصود من إغلاق بابِ التوبة، والله أعلم ..

ومن العلامات شبه الكبرى: رفعُ المصاحفِ واختفاءُ الإسلام

ففي حديثٍ صححهُ الالباني، قال ﷺ: "يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدرُسُ وَشْيُ الثَّوبِ، حتَّى لا يُدْرَى ما صِيامٌ، ولا صَلاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدَقةٌ، ولَيُسْرَى على كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ في ليلةٍ، فلا يَبْقى في الأرضِ مِنه آيةٌ، وتَبْقى طوائفُ مِن النَّاسِ: الشَّيخُ الكبيرُ والعَجوزُ يَقولون: أدرَكْنا آباءَنا على هذه الكلمةِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ فنحنُ نَقولُها"، وفي حديثٍ موقوفٍ على الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لَيُسْرَيَنَّ عَلَى الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ وَلا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إلا رُفِعَتْ"، ثمَّ قرأ قولَ اللهِ تعالى: {وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا} [الإسراء:86]، والحديثُ له حكمُ الرفعِ

لأنهُ من الغيبيات، وقال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية: "يُسرى به في آخر الزمانِ من المصاحف والصدورِ فلا يبقى في الصدور منهُ كلمةٌ، ولا في المصاحف منهُ حرفٌ"..

ومن العلامات شبهِ الكبرى: عودةُ الشركِ وعبادةُ الأوثان

ففي حديثٍ صححهُ الالباني، قال ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةَ حتى تلحقَ قبائلٌ من أمّتي بالمشركينَ، وحتى يُعْبَدَوا الأوثانُ"، وقال ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى لا يقالَ في الأرضِ لا إله إلا اللَّهُ"، صححهُ الألباني، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ والنَّهارُ حتَّى تُعْبَدَ اللّاتُ والْعُزَّى فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أنْزَلَ اللَّهُ: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف:9]، أنَّ ذلكَ تامًّا، قالَ إنَّه سَيَكونُ مِن ذلكَ ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَن في



قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ، فَيَبْقَى مَن لا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبائِهِمْ"، رواه مُسلم ..

ومن العلامات شبهِ الكبرى: ريحٌ لينةٌ تقبضُ أرواحَ المؤمنين

ففي صحيح مُسلمٍ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: "ثم يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فلا تَتْرُكُ نَفْسًا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإيمَانِ إلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عليهم تَقُومُ السَّاعَةُ"، وفي رواية: "فبينما هُمْ كذلِكَ إذ بعَثَ اللهُ ريحًا طيبَةً فتأخُذُهُمْ تَحتَ آباطِهِم، فتَقْبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ، ويبقَى شرارُ النَّاسِ يتهارجونَ فيها تَهارُجَ الحمُرِ، فعليْهِم تقومُ السَّاعَةُ"، وفي حديثٍ صححهُ الألباني، قال ﷺ: "ثمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا باردةً من قِبَلِ الشامِ، فلا يَبْقَى على وجهِ الأرضِ أحدٌ في قلبِه مِثْقالُ ذَرَّةٍ من إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ، حتى لو أنَّ أحدَكم دخل في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عليه، حتى تَقْبِضَه" ..

ومن علامات السَّاعةِ شبه الكبرى: هدمُ الكعبةِ الشَّريفة

ففي صحيح مُسلم، قال ﷺ: "يخرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيْقتينِ منَ الحبَشةِ"، وفي صحيح البخاري، قال ﷺ:"كأنِّي أنظُرُ إليه أسودَ أفحَجَ يقلَعُها حَجَرًا حَجَرًا" يعني الكعبةَ"، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: قال، قال ﷺ: "اسْتمتعوا من هذا البيتِ؛ فإنَّه قد هُدِمَ مرتينِ، ويُرْفَعُ في الثالثةِ"، والحديثُ صححهُ الألباني، وقال ﷺ: "تأتي الحبَشةُ فيُخرِّبونَهُ خرابًا لا يُعمَرُ بعدَهُ أبدًا، وَهُمُ الَّذينَ يستخرِجونَ كنزَهُ"، والحديثُ صححهُ الألباني ..

ومن العلامات شبهِ الكبرى: نفيُ المدينةِ لشرارها ثم خرابها

ففي صحيح مُسلمٍ، قال رسولُ الله ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَنْفِيَ المدِينَةُ شِرَارَهَا، كما يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ"، قال الامامُ النووي: الأظهرُ أنهُ في زمن الدَّجالِ، وفي البخاري، قال ﷺ: "ليسَ مِن بَلَدٍ إلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إلَّا مَكَّةَ والمدِينَةَ؛ ليسَ



له مِن نِقَابِهَا نَقْبٌ إلَّا عليه المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ ومُنَافِقٍ"، وفي البخاري: يقولُ أبو هريرة ﵁ سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: "يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ علَى خَيْرِ ما كَانَتْ، لا يَغْشَاهَا إلَّا العَوَافِ يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ والطَّيْرِ وآخِرُ مَن يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِن مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بغَنَمِهِما، فَيَجِدَانِهَا وحْشًا، حتَّى إذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ، خَرَّا علَى وُجُوهِهِمَا" ..

ومن آيات السَّاعةِ الكبرى: الخُسوفُ الثلاثة

وهي الآياتُ السَّابعةُ والثَّامنةُ والتَّاسعة: التي وردت في حديث حذيفةَ بن أسيدٍ الغفاري ﵁، وجاء فيه أن الرَّسولَ ﷺ قال: "إنَّ الساعةَ لنْ تَقومَ حتى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ، وذكر منها: "خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وخَسْفٌ في جَزيرةِ العَرَبِ"، ومعنى الخسفُ: الغوصُ في الأرض، ومنه قولهُ تعالى

عن قارون: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [القصص:81]، وقال تعالى: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل:45]، ومن خلال الرواياتِ الواردةِ، يستشعرُ المتأمّلُ أنها من آخر الآياتِ ظهوراً .. وأنّها خِلافَ الخسفِ الخاصّ بالجيش الذي يُبعثُ لمطاردة المهديِّ في أول ظهورِه، حيثُ يُخسفُ بهم قربَ المدينة، واللهُ اعلمُ بالصواب ..

آخرُ الآياتِ الكبرى: نارٌ تخرجُ من عدن تسوقُ الناسَ إلى محشرهم

فقد نصَّ النبيُ ﷺ على أنها آخرُ الآياتِ الكبرى، كما جاءَ في صحيح مُسلم: قَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّال، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ وَيَأَجُوجَ

وَمَأْجُوجَ وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"، وفي لفظٍ: «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ»، وفي حديثٍ صححهُ الألباني، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ تَحْشُرُ النَّاسَ» قَالُوا: فَبِمَ تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّأْمِ»، وفي صحيح البخاري ومسلم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: "يُحْشَرُ النَّاسُ على ثَلاثِ طَرائِقَ، راغِبِينَ راهِبِينَ، واثْنانِ علَى بَعِيرٍ، وثَلاثَةٌ علَى بَعِيرٍ، وأَرْبَعَةٌ علَى بَعِيرٍ، وعَشَرَةٌ علَى بَعِيرٍ، وتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ معهُمْ، حَيْثُ باتُوا وتَقِيلُ معهُمْ حَيْثُ قالُوا، وتُصْبِحُ معهُمْ حَيْثُ أصْبَحُوا، وتُمْسِي معهُمْ حَيْثُ أمْسَوْا" ..

ولقد عرفنا سابقاً أنَّ السَّاعةَ لا تقومُ إلا على شِرار الخلقِ وعبدةِ الأوثانِ، وبعدَ أنَّ تَقبِضَ الريحُ اللينةُ أرواحَ جميعَ من

تبقى من المؤمنين، ففي صحيح مُسلم: "ثم يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا باردةً من قِبَلِ الشامِ، فلا يَبْقَى على وجهِ الأرضِ أحدٌ في قلبِه مِثْقالُ ذَرَّةٍ من إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عليه، حتى تَقْبِضَه، فيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، في خِفَّةِ الطيرِ، وأحلامِ السِّباعِ، لا يَعْرِفُونَ معروفًا، ولا يُنْكِرون مُنْكَرًا، فيتمثلُ لهم الشَّيطانُ، فيقولُ: ألَا تستجيبونَ؟ فيقولونَ: بِمَ تَأْمُرُنا؟ فيأمرُهم بعبادةِ الأوثانِ، فيعبدونَها، وهم في ذلك دارٌّ رِزْقُهُم، حَسَنٌ عَيْشُهُم، ثم يُنْفَخُ في الصُّورِ"، فعلى هؤلاءِ الاشرارِ تقومُ السَّاعةُ وينفخُ في الصُّور، وعندهم تنتهي الدنيا، وتبدأُ أحداثُ الآخرةِ ..

والسببُ في كونِ أرضِ الشامِ هي أرضُ المحشرِ لهؤلاء الأشرار، أنها أرضُ الأمنِ والإيمانِ، فخيرها وبركتها لا تنقطعُ حتى بعدَ قبضِ المؤمنين، ولأنَّ النَّارَ التي تَحشرُ النَّاسَ حين تنتشرُ في كل البقاع، تكونُ في جهة الشامِ أخفَّ من غيرها، فيقصدها النَّاسُ



لذلك، ففي حديث صححهُ الالباني، قال ﷺ: "الشَّامُ أرضُ المحشرِ والمنشر"، ففي بداية الأمرِ تخرجُ تلك النَّارُ العظيمةُ من عدن، من بحر حضرموت، ثم تنتشرُ في كلِّ الارجاءِ لتسوقَ أولئك الاشرارِ إلى بلاد الشَّام، وهناكَ تقومُ عليهم السَّاعة، ففي صحيح البخاري عن أنَسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ»، وحكمةُ ذلك (والعلمُ عند اللهِ) أنه نوعٌ من العذابِ لهؤلاء الأشرار في الدُّنيا قبل الآخرة ..

ومما يناسبُ ذكرهُ هنا: أنَّ اللهَ تعالى سخَّرَ للبشر في هذه الازمانِ المتأخرةِ أجهزةً علميةً مُتقدمةً، ووسائلَ تقنيةٍ مُتطورةٍ، كالأقمار الصناعية، والتلسكوبات الدقيقة، والغواصاتِ الضخمة، مكَّنت الانسانَ أن يصلَ لأماكنَ بعيدةٍ وعميقةٍ جداً، ما كانَ له أن يصلَ بدونها، كقاع البحارِ والمحيطاتِ، وإلى أعماقٍ تزيدُ عن العشرةِ كيلومترات تحت سطحِ البحر،

فاكتشفوا أنَّ هناك أخاديدَ ناريةٍ هائلة، يمتُدُ بعضها لآلافِ الكيلومترات، حتى أنهم تمكنوا من تصويرها بكل دقةٍ، ففي قاع البحرِ الأحمرِ مثلاً فالقٌ بحري طويل، يمتدُ من أوله لآخرة، وكثيرٌ من أجزاء هذا الفالقِ الطويلِ عِبارةٌ عن أخاديدَ ناريةٍ مُشتعلة، تزيدُ كلما اتجهنا جنوباً، وتكونُ أكثرَ زيادةً قربَ باب المندبِ ومدينةِ عدن، فهل لهذه الأخاديدِ علاقةٌ بالنَّار التي ستخرجُ في آخر الزمانِ وتحشرُ النَّاسَ إلى بلاد الشَّامِ، الحديثُ الصحيحُ يشيرُ إلى أنَّ ناراً عظيمةً ستخرجُ من قاع أرضِ عدن، وفي روايةٍ صحيحةٍ: من بحر حضرموت تطردُ النَّاسَ إلى محشرهم ..

كما أنَّ المتأمِّلَ في كتاب اللهِ تعالى، يُلاحظُ أنَّ اللهَ جلَّ وعلا أقسمَ في سورة الطَّورِ بهذا النَّوعِ من البحار المشتعلةِ، فقال تعالى: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور:6]، وتأمَّل في جواب القسمِ بعدها، قال تعالى: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ



دَافِعٍ} [الطور:7-8]، فالتشابهُ واضحٌ، والقرآنُ حمَّالُ أوجه، ولكن لا دليلَ على الربطِ بينهما، فاللهُ أعلمُ بالصَّواب ..

فوائدُ مدارسةِ أشراطِ السَّاعةِ وعلاماتها

لا شكَّ أنَّ مُدارسةَ أشراطِ السَّاعةِ وآياتها، لها فوائدُ كبيرةٌ، وثمراتٍ عظيمةٍ، نذكرُ شيئاً منها ..

أولاً: أنَّ كثرةَ احاديثِ الفتنِ وأشراطِ السَّاعةِ وآياتها وتنوعِها واستفاضتها يدلُ على شِدةِ اهتمامِ النبي ﷺ بهذا الأمر، وشدَّةُ اهتمامهِ بأمرٍ ما، دليلٌ على شِدةِ خطورتهِ وأهميته، وعلى ضرورة التنبُّهِ لهُ، وأخذِ الأسبابِ المنجيةِ منهُ، ويدلُ كذلك على عِظمِ شفقةِ النبيّ ﷺ، وشِدَّةِ حرصهِ ونُصحهِ لأمته، فقد أكثرَ ﷺ من التَّحذير من تلك الفتنِ العظيمة، وشدَّدَ على خطورتها، لتكونَ أجيالُ المسلمينَ على مرِّ العصورِ على درايةٍ تامَّةٍ بأسبابِ النَّجاةِ وطُرقِ السَّلامةِ منها، ولتتضحَ لهم جادةُ

الصَّوابِ، فهو القائل ﷺ: "لقد تركتُكم على مثلِ البيضاءِ، ليلِها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ"، صححه الألباني .. يقول الامامُ السفاريني رحمه الله: "ولما كانَ أمرُ السَّاعةِ شديداً، وهولها مزيداً، وأمرُها بعيداً، كانَ الاهتمامُ بشأنها أكثرَ من غيرها، ولهذا أكثرَ النبي ﷺ من بيانِ أشراطِها وأماراتها، وأخبرَ عمَّا بين يديها من الفتن البعيدةِ والقريبة، ونبَّه أمَّتهُ وحذَّرهم ليتأهبوا لتلك العقبةِ الشديدة"، ويقول العلامةُ البرزنجي رحمه الله: لذا كان حقاً على كلِّ عالمٍ أن يُشِيعَ أشراطها، ويبثَ الأحاديثَ والأخبارَ الواردةَ فيها بين الأنام، ويسرُدها مرةً بعد أخرى على العوام، عسى أن ينتهوا عن بعضِ الذنوب، ويَلينَ منهم بعضُ القلوب، وينتبِهوا من سِنةِ الغفلةِ، ويغتنموا الفُرصةَ قبل نفادِ المهلة ..

وثانياً: أنَّ تعلُّمَ أشراطِ السَّاعةِ ومُدارستِها، والاكثارَ من العبادات والأعمالِ الصالحة، هاذانِ هما أقوى أسبابِ دفعِ



الفتنِ، والسِّلامةِ منها عند وقوعها، ولذا علَّمنا رسولُ الله ﷺ تفاصيلَ الفتن، كالوصف الدقيقِ للدَّجالِ، وصفاتِ النساءِ الكاسياتِ العاريات، وفي الحديث الصحيح: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم"، وقال في صحيح مسلم: "بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا"، وذكر بعض الأشراط ..

وثالثاً: أنَّ مُدارسةَ أشراطِ السَّاعةِ وآياتها يزيدُ في إيمانِ المسلمِ باليوم الآخرِ وما يتعلقُ به من أخبارٍ وغيبياتٍ، ويُساهِمُ في إيقاظِ القلوبِ من غفلتها، فإذا استيقظت القلوبُ وازدادَ الإيمانُ، ازدادَ المسلمُ حِرصاً على الاعمال الصالحةِ، وبُعداً عن الاعمالِ السيئة، وفي المقابلِ فإنَّ البعدَ عن مُدارسةِ أشراطِ السَّاعةِ وآياتها، يمُدُ في الأمل، ويُقسي القلب، ويُضعِفُ الإيمان، ويُقلِلُ من مكانة السَّاعةِ وهيبتها في النفس، ويُزهِدُ في التزودِ من الاعمالِ الصالحةِ، لا سيما في هذا العصرِ الذي كثُرت فيه

الملهياتُ ومُسبباتِ الغفلة، فما أعظمَها من نصيحةٍ، وما أشفقهُ من ناصحٍ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه ..

ورابعاً: أنَّ وقوعَ الاحداثِ وفقَ ما اخبرَ به الصادِقُ المصدوق ﷺ يعتبرُ من أقوى مثبتاتِ الإيمانِ في القلوب، ومن أكبرِ أسبابِ زيادةِ اليقينِ بصدق ما أخبرَ به سيدُ المرسلين، وأنَّ العاقبةَ ستكونُ للمتقين، وأنَّ الخزيَ والبوارَ سيحِيقُ بالظالمين والمكذبين ..

وخامساً: معرفةُ التَّصرفِ الصحيحِ عندَ وقوعها، كعدم الأخذِ من جبلِ الذَّهبِ، والهروبِ من الدَّجالِ وعدمِ اتيانه، ومعرفةُ الصفةِ الصحيحةِ للمهدي، وعلامةِ خروجهِ، إلى غير ذلك من التوجيهات والوصايا المهمَّة، التي أرشدَنا إليها المصطفى ﷺ للسلامة من الفتن، والثَّباتِ على الحقِّ ..



وسادساً: بيانُ شموليةِ الإسلامِ لكلِّ مناحي الحياة، وصلاحيتهِ المطلقةِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، وأنَّ فيه بياناً شافياً كافياً لكل ما يحتاجهُ الناسُ من أمور دينِهم ودنياهم ..

وسابعاً: إشباعُ فضولِ الانسانِ نحو معرفةِ أحداثِ المستقبلِ وما غُيِّبَ عنه، فالإنسانُ مفطورٌ على ذلك، يقول الامامُ ابن القيمِ رحمه الله: "العلمُ بما سيكونُ وما سيحدثُ في المستقبل، عِلمٌ حلوٌ عند النفس، فلا أحدَ إلا وهو يتمنى أن يعلمَ الغيب، ويطَّلِع عليه، ويُدرك ما سوفَ يكونُ في غدٍ"، انتهى كلامه رحمه الله ..

ولا شكَّ أنَّ عِلمَ أشراطِ السَّاعةِ وآياتها، من علم الغيبِ الذي لا يعلمهُ إلا الله، وقد بين اللهُ بعضهُ للنبي ﷺ، فبينهُ لنا، وكأنَّنا نراهُ رأيَ العينِ .. فالحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ..

الفصلُ الرابع: الموتُ وعالمُ البرزخ

الموتُ حتمٌ ولا محيصَ عنه، ومُصيبةٌ آتيةٌ ولا مفرَّ منها، قال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء:78]، وقال جلَّ وعلا: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران:185] .. ونسيانُ الموتِ أساسُ كلِّ ضلال، فما غفلَ عنه أحدٌ إلا طغى وغوى، ولذا فقد كان من وصايا المصطفى ﷺ: "أكثروا من ذكر هادمِ اللذات"، صححه الألباني .. وحالُ الإنسانِ مع الموتِ حالٌ عجيبة، فهو لا يُدركُ أنه ضعيفٌ إلا عند الموت، ولا يتبينُ له أنه ظلمَ نفسهُ وضيَّعَ أوقاتهُ، وفرَّطَ في صالح الأعمالِ إلا عند الموت ..

على فراش الموت

على فراش الموت: يؤمنُ الكافر، ويتوبُ الفاجر، ويُصدِّقُ المكذب، وتزولُ الأوهام، وتتبدَّد الأماني والأحلام ..

على فراش الموت: موعظةٌ وذكرى، نُقدمها لكلِّ من غفلَ ولها، ورتعَ وسها، وإلى من تكبرَ وطغى، وظلمَ وبغى وآثرَ الحياةَ الدُّنيا .. نُقدمها إلى المغتابينَ والنَّمامينَ وأكلةِ الرِّبا والمحتالين، وإلى من ضيَّعَ الصَّلاة واتَّبعَ الشهوات، وإلى من أضنى عينيهِ بمشاهدةِ المسلسلات، وإلى من أرهقَ أُذنُيهِ باستماعِ الأغنيات، وإلى من ضيَّعَ ثمينَ أوقاتهِ في التُّرهات، ومُتابعةِ التَّافهينَ والتَّافهات، نُقدمها إلى الكاسيات العاريات، وإلى كلِّ المفرطين والعُصاةِ، بل وإلى الطائعين والطائعات، ليت شعري كيف سيكونُ حالنا، ونحن على فراش الموت ..

وأهلُ الغفلةِ مع الموتِ كغنم عدا الذئبُ عليها وأكلَ إحداها، فهي لا تزالُ في روعة الموقفِ لحظات، ثم ما تلبثُ أن تنسى فترتعُ وتلعب، حتى يأتي الذئبُ مرةً أخرى ليروعِها ويُخيفها، ثمَّ تعودُ إلى ما ألفتهُ من جديد، وتظلُ على تلك الحالِ حتى يقتنصها الذئبُ واحدةً تلو الأخرى، وهكذا الدُّنيا، وهكذا هم

أهلُ الغفلةِ فيها، تأمَّل: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون:99-100] .. فإذا ماتَ الإنسانُ انتقلَ إلى عالمٍ جديد ..

عالمُ القبور

لقد جعلَ اللهُ تعالى القبرَ برزخًا وفاصِلًا بين الدُّنيا والآخرة، فهو انقطاعٌ عن الأولى، وإقبالٌ على الأُخرى، وهو منزلٌ مُشترَكٌ بينهما؛ فمكانهُ في الأرض، وزمانهُ في الدُّنيا، ولكنَّ أهلهُ يُعاملونَ معاملةَ الآخرة؛ ولذا كان القبرُ أولَ منازلِ الآخرة ..

القبر: تلك الحفرةُ المنعزلةُ الموحِشة، الضيِّقةُ المظلمة، يُوضعُ الميتُ فيها، ليس معهُ إلا كفنهُ وعمله، وحتى الكفن يبلى، ولا يبقى معه إلا عمله ..



وحين يُغلَقُ على الميت قبره، ينقطعُ عن البشر، وينقطعُ البشرُ عنه، يتفرقُ الجميع، ويذهبُ الأحبة، ويبقى وحدهُ ليقابلَ مصيره، وليتحمَّلَ تبعِاتِ عملهِ بمفرده؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، فيا له من موقفٍ يستحقُ الوقوفَ عندهُ طويلًا، والتَّفكُّرَ فيه مليًّا، والعملَ له كثيرًا، موقفٌ رهيبٌ مهيب، موقفٌ وصلَ إليهِ كلٌّ من قد مضى قبلنا، وحتمًا ولا بدَّ سنصيرُ إليه كُلُّنا، بل وكُلُّ من سيأتي مِن بعدِنا ..

وحين يقفُ المرءُ على شفير قبرٍ ويتأمَّلُ حالَ صاحبهِ، يتساءل: أفرِحٌ هو بمصيره أم حزين؟، أشقيٌ هو أم سعيد، تُرى ماذا يتمنى؟، وما الذي سيفعلهُ لو أعيدَ إلى الدنيا؟، فإن لم يكن ثمَّةَ جواب، فماذا عنا؟، فنحنُ والله بالسؤال أولى ..

هكذا .. فعالمُ القبورِ وما يجري فيها، عالمٌ عجيبٌ، يدلُ على قُدرة الخالقِ جلَّ وعلا، فهناك عوالمٌ أخرى غيرُ عالمنا لا ندركها

بحواسنا، ولا نعلمُ عنها شيئًا، إلا ما أعلمنا اللهُ عنها في كتابه، أو ما صحَّ من أحاديث المصطفى ﷺ ..

ولقد دلَّت آياتُ القرآنِ الكريمِ والأحاديثِ الصحيحةِ على أنَّ القبرَ إمَّا روضةٌ من رياضِ الجنَّةِ، أو حُفرةٌ من حفر النِّيران، عياذًا بالله .. فعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}، قال: نزلت في عذاب القبر؛ [رواه الشيخان]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، قال: عذابُ القبر"، وكذلك في قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:46]، وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأنعام: 93]؛ أي في نفس اليومِ الذي ماتوا فيه، وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: "مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ على قبرين، فقال: إنهما لَيُعذَّبان وما



يُعذَّبانِ في كبير، أمَّا هذا: فكان لا يستترُ من بوله، وأمَّا هذا: فكان يمشي بالنميمة"؛ والحديث في البخاري، وفي حديث البراء المشهور حين يُسئلُ المؤمنُ في قبره قال: "فافرشوه من الجنَّة، وافتحوا له بابًا إلى الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطِيبها، قال: ويُفتحُ له فيه مّدَّ بصره"، وقال في الكافر حين يُسئلُ في قبره: "فافرشوه من النَّار، وألبسوه من النَّار، وافتحوا له بابًا إلى النَّار، قال: فيأتيهِ من حرِّها وسمومها، قال: ويضيقُ عليه قبرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعه" ..

وقد سمع الخليفةُ الراشدُ عثمانُ ﵁ من الأحاديث ما اشتدَّ معهُ خوفهُ من القبر، فعن هانئ مولى عثمانَ ﵄ قال: (كان عثمانُ إذا وقفَ على قبرٍ بكى حتى يبلَّ لحيته، فقيل له: تُذكَرُ الجنَّةُ والنَّارُ فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: القبرُ أولُ منازلِ الآخرة، فإن يَنجُ منه، فما بعدَهُ أيسرَ منهُ، وإن لم يَنجُ منه، فما بعدَهُ أشدَّ منه)، حسنه الألباني ..

وتأمَّل أخيَّ الكريم قولَ الرسولِ ﷺ في الحديث الذي حسَّنهُ الألباني: (ما رأيتُ منظرًا قطُّ إلا والقبرُ أفظعُ منه)، فمع كثرةِ المشاهدِ التي رآها رسولنا الكريم ﷺ، إلا أنهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يؤكدُ في هذا الحديث أنه ما رأى منظرًا قطُّ أفظعَ من القبر، كيفَ لا وهو بَيْتُ الوَحْدةِ والغُربةِ والوَحْشةِ، والانْقِطاعِ عن الأعمالِ الصَّالحةِ ..

ولما أَخبرت أمُّنا عائشةُ رضي الله عنها رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ عجوزين يهوديتينِ أخبراها بعذاب القبر، قال ﷺ: "صدقتا، إنهم يُعذَّبون عذابًا تسمعهُ البهائمُ كلُّها، قالت عائشة: فما رأيتهُ بعدُ في صلاةٍ إلا تعوَّذَ من عذاب القبر" رواه الشيخان، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إذا تشهَّدَ أحدكم فليستعِذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنَّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنةِ المسيحِ الدَّجال" رواه مسلم .. وقد ثبتَ في السنة أنَّ للقبر ضغطةً أو

ضمَّةً على كل ميتٍ؛ ففي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "للقبرِ ضغطةٌ لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعدُ بنُ معاذٍ" ..

ومن أحوال أهلِ القبورِ: أنَّ أماكنَهم في الآخرة تُعرَضُ عليهم وهم في قبورهم؛ ليزدادَ المنعَّمونَ فرحًا إلى فرحهم، ويزدادَ المعذَّبونَ حسرةً على حسرتهم؛ قال النبيُّ ﷺ: "إنَّ أحدكم إذا ماتَ عُرضَ عليه مقعدهُ بالغداة والعشيِّ، إن كان من أهل الجنَّةِ فمن أهل الجنَّة، وإن كان من أهل النَّارِ فمن أهل النَّار، فيُقال: هذا مقعدكَ حتى يبعثك اللهُ يومَ القيامة"، متفقٌ عليه ..

ومن عقيدة أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، أنَّ نعيمَ القبرِ وعذابهِ وجميعَ ما وردَ عن أحوالهِ، يقعُ على الروح والجسدِ كليهما، وبكيفيةٍ لا يعلمُها إلا الله تعالى .. هذا وإنَّ تذكُّرَ القبرِ وأحوالهِ وزيارةَ القبورِ والإدكارِ والاعتبارِ بأحوالها، بين حينٍ وآخر أمرٌ مهمٌ لمن أرادَ حياةَ قلبهِ، وخشوعهِ في عباداته، وصلاحَ آخرته؛ فقد قالَ



النبيُّ ﷺ: "زوروا القبورَ فإنها تُذكرُكم بالآخرةِ"، والحديث صححهُ الألباني، وقيلَ لبعض الزهادِ: (ما هي أبلغُ العِظات؟ فقال: النظرُ إلى محلِّ الأموات)، وحين نظرَ الحسنُ رحمه الله تعالى إلى ميتٍ يُدفَن قال: (إنَّ شيئًا هذا أوله، لَحَقِيقٌ أن يُخافَ آخره، وإنَّ شيئًا هذا آخرهُ، لحقيقٌ أن يُزهَدَ في أوله) ..

ضع نفسك مكانَ صاحبِ القبرِ

فإذا زرتَ المقبرةَ فقف أمامَ قبرٍ مفتوحٍ، وتأمَّل هذا اللحدَ الضيق، وتخيل أنك بداخله، وقد أُغلقَ عليك الباب، وانهالَ عليك التراب، وفارقك الأهلُ والأحباب، وقد أحاطك القبرُ بظلمته ووحشته، وأنت فيه وحيداً فريداً، ليس معك إلا عملك، فماذا تتمنى في هذه اللحظة؟، ألا تتمنى الرجوعَ إلى الدُّنيا لتعملَ صالحاً، لتتوبَ وتستغفر، لتركعَ ولو ركعةً، لتقرأ ولو آيةً، لتتصدقَ ولو بتمرةٍ، لتذكرَ اللهَ تعالى ولو مرةً .. فها أنت

على قيد الحياةِ، فتدارك نفسك قبل أن تعُضَّ أصابعَ الندمِ، تتمنى الرجوعَ وهيهات .. قال إبراهيم التيمي: مثَّلتُ نفسي في النَّار آكلُ من زقومها وأشربُ من صديدها، وأعالجُ سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أيُّ شيءٍ تُريدين؟ قالت: أن أُردَّ إلى الدُّنيا لأتوبَ وأعملَ صالحاً، ثمَّ مثَّلتُ نفسي في الجنَّة آكلُ من ثمارها، وأشربُ من أنهارها، وأُعانقُ أبكارها، فقلت لنفسي: أيُّ شيءٍ تُريدين؟ قالت: أن أُردَّ إلى الدُّنيا لأعمل صالحاً فأزدادَ من هذا النعيم .. فقلت: يا نفسي فها أنت في الأمنية فاعملي بما قلت ..

فإلى كلِّ من ضيعَ وقتهُ أمامَ الملهياتِ والشَّاشات، أما واللهِ لو علمتَ ماذا يتمنى الموتى لما ضيّعتَ دقيقةً واحدة .. واللهِ لو علمتَ ما بقيَ لك من أجلك، لزهِدت في طول أملك، ولرغبتَ في زيادة صالحِ عملك، فاحذر أن تزلَ قدمك، وخِف من طولِ ندمك، واغتنم فراغك قبل شغلك، وصحتك قبل

مرضك، وحياتك قبل موتك، وشبابك قبل هرمك، وغِناك قبل فقرك، واعلم أنَّ العمرُ لحظاتٍ، فانهل من الحسنات قبل الفوات، وبادر بالتوبة قبل أن يأتيك الموت بغتةً فتقول: يا ليتني قدمت لحياتي، واعلم أنَّ الدقيقةَ التي تُبعثرها بلا عملٍ صالح، يتمناها ملايين الموتى ليستثمروها في طاعة اللهِ وهيهات، فلا تصرف دقائقَ عُمرك الغالية في غير طاعة، لئلا تتحسرَ في يومٍ لا تنفعُ فيه الندامة، {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [الزمر: 56-57] ..

الأعمالُ التي تُنجي بإذن اللهِ من عذاب القبر

من فضل اللهِ تعالى أنَّ هناك أعمالاً صالحةً متنوعةً تجعلُ المسلمَ المؤدي لها في مأمنٍ من عذاب القبرِ بإذن اللهِ، يجمعُ هذه الأعمال الاستقامةُ على طاعة اللهِ تعالى، واتِّباعُ هديِ رسولهِ

ﷺ؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30] .. وممَّا يُنجي من عذاب القبرِ: الشهادةُ في سبيل الله تعالى؛ فقد قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "للشهيد عندَ اللهِ ستُّ خِصالٍ: يُغفرُ له في أول دَفعةٍ من دمه، ويرى مقعدَه من الجنَّة، ويُجارُ من عذاب القبر، ويأمنُ من الفزع الأكبر، ويُحلَّى حِليةَ الإيمان، ويُزوَّجُ من الحور العين، ويشفَّعُ في سبعينَ إنسانًا من أقاربه"، صححهُ الألباني .. ومما يُنجي من عذاب القبرِ بإذن اللهِ: حِفظُ وقراءةُ سورةِ تبارك؛ فقد صحَّ عنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنه قال: "سورةُ تبارك هي المانعةُ من عذاب القبر"، وقال ﷺ: "إنَّ سورةً منَ القرآنِ ثلاثونَ آيةً شفعَت لرجلٍ حتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهيَ سورَةُ تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ"، حسنه الألباني، وهذه السورةُ المباركةُ ليسَ لها وضعيةٌ خاصةٌ بقراءتها، وإنما المقصودُ أن يكونَ له مزيدُ عنايةٍ بها، تلاوةً

وحفظًا، وفهمًا وتدبرًا وقيامًا بها، لا سيما في صلواته .. ومما يُنجي من عذاب القبرِ بإذن اللهِ: اجتنابُ الأسبابِ المؤديةِ لعذابه؛ كالكذب، والزنا، والربا، وهجرِ القرآن، والغيبةِ والنَّميمة؛ ففي صحيح البخاري من حديث سمرةَ بن جندبٍ ﵁ وفيه: أنَّ الملَكَ قال للنبيِّ ﷺ: (أمَّا الذي رأيتهُ يُشقُّ شِدقُه، فكذَّابٌ يحدِّثُ بالكَذْبة فتُحملُ عنه حتى تبلغَ الآفاق؛ فيُصنعُ به إلى يوم القيامة، والذي رأيتهُ يُشدَخُ رأسهُ، فرجلٌ علَّمهُ اللهُ القرآنَ فنامَ عنهُ بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار؛ يُفعلُ به إلى يوم القيامة، والذي رأيتهُ في الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّناة، والذي رأيتهُ في النهر آكلو الربا) .. ومما يُنجي من عذاب القبرِ بإذن الله: الاستعاذةُ بالله من عذاب القبرِ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ؛ فقد قال ﷺ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ مِن أَرْبَعٍ يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ"، رواه مُسلم ..

ومن أنفع الأسبابِ المنجيةِ من عذاب القبرِ بإذن الله: ما قالهُ الإمامُ ابن القيم رحمه الله: "أن يجلسَ الرجلُ عندما يريدُ النومَ ساعةً لله، يُحاسِبُ فيها نفسهُ على ما خسِرهُ وربحهُ في يومه ذاك، ثمَّ يجدِّدُ له توبةً نصوحًا بينهُ وبين الله، فينامُ على تلك التوبة، ويعزمُ على ألّا يُعاودَ الذنبَ إذا استيقظ، ويفعلُ هذا كلَّ ليلةٍ، فإن ماتَ من ليلته ماتَ على توبةٍ، وإن استيقظَ، استيقظَ مُستقبلًا للعمل، مسرورًا بتأخير أجله؛ ليستدركَ ما فاته"، ثمَّ يقول رحمه الله: "وليس للعبد أنفعُ من هذه النومة" ..

نسألُ اللهَ الكريمَ من واسع فضلهِ، وعظيمِ عطائه ..

الفصلُ الخامس: قيامُ السَّاعةِ وأهوالها

يقولُ الحقُّ جلَّ وعلا في مطلع سورةِ الحجِّ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:1-2]، ويقول جلَّ وعلا: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة:1-5]، ويقول عزَّ وجلَّ: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة:1-5]، ويقول جلّ وعلا: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر:46] ..

وحقاً فقيامُ السَّاعةِ هو الحدثُ الأدهى والأخطر، والأعظمُ والأكبرُ، فهو إعلانٌ شاملٌ لإنهاء الحياةِ في الكون كله، وموتٌ لجميع الخلائقِ قاطبةٌ، وبدءُ مرحلةٍ جديدة .. فحينَ يأمرُ اللهُ جلَّ وعلا اسرافيلَ عليه السَّلامُ بالنفخ في الصُّور، فقد أذنَ اللهُ جلَّ وعلا بقيام السَّاعة .. ويا لها من لحظةٍ ما أروعها، وداهيةٍ ما أفظعها، وطامّةٍ ما أعظمها .. إنها بدايةُ نهايةِ الدُّنيا، فـ{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن:26]..

تعريفُ الصُّورِ

والصُّور في لغة العربِ هو القرنُ أو البوقُ الذي يُنفخُ فيه، وجاء في حديثٍ صحيح: أنَّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال ما الصُّور؟ قال: "الصُّورُ قرنٌ يُنفخُ فيه"، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر:68]،

فالصُّورُ بوقٌ عظيمٌ مُكلفٌ به ملكٌ كريمٌ من الملائكة العظامِ المقربين، وهو اسرافيلُ عليه السَّلام، جاءَ في الحديث الصحيح، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "أُذنَ لي أن اتحدثَ عن مَلكٍ من ملائكة اللهِ تعالى، من حملة العرش، إنَّ ما بين شحمةَ أذنهُ إلى عاتقه مسيرةَ سبعمائةِ عام"، وقد جاء في الأثر أنَّ سِعةَ دائرةِ البوقِ سِعةَ السمواتِ والأرض، وهذا وإن لم يثبت بحديثٍ صحيح، فإنَّ لك أن تتخيلَ حجمَ البوقِ الذي يتناسبُ مع حجمِ ذلك الملَكِ الضَّخم، والذي إذا نُفخَ فيه صعِقَ وماتَ كُلُّ من في السموات والأرضِ إلا من شاءَ اللهُ، وفي الحديث الصحيح، قال رسولُ اللهِ ﷺ: " كيف أنعمُ وقد التقمَ صاحبُ القرنِ القرنَ، وحنى جبهتهُ، وأصغى سمعهُ، ينتظرُ أن يُؤمرَ أن ينفُخَ، فينفُخ" .. والنَّفخُ في الصُّور كما جاء في الآية مرتين، الأولى تُسمى نفخةُ الصَّعقِ، يموتُ فيها كل من كان حياً إلا

من شاءَ الله، والثَّانيةُ تُسمى نفخةُ البعثِ، وسنتحدثُ عنها في الفصل القادمِ بإذن الله ..

أحوالُ النَّاسِ عند قيامِ السَّاعة

قيامُ السَّاعةِ هو بدايةُ الأهوال، والرَّوعُ المذهِل، والهلعُ الشديد، الذي تشيبُ له الولدان، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملها، وتذهلُ كُلُّ مرضعةٍ عن وليدها، وتبلغُ القلوبُ الحناجر، وترى النَّاسَ من شدَّة الفزعِ يتخبَّطونَ ويتمايلون، يركضونَ فيقعون، ولا يدرون إلى أين يذهبون، يتخبَّطون تخبُّطَ السُّكارى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، تأمَّل: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:2]، ويقولُ جلَّ وعلا: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} [القارعة:4]، ويقولُ سبحانهُ وبحمده: {مَا يَنْظُرُونَ

إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} [يس:49-50]، فالسَّاعةُ حين تقومُ على أولئك الأشرار، تقومُ وهم في معمعة الحياةِ وخِصامِها، وفي أثناء تعامُلاتهم العادية، وفجأةً تتوقفُ الحياة، وتتسمَّرُ الأجساد، فلا يستطيعونَ بعدها أن يفعلوا شيئاً، جاء في صحيح البخاري، قال ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعُونَ، فَذلكَ حِينَ: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام:158]، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بيْنَهُما، فلا يَتَبايَعانِهِ ولا يَطْوِيانِهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ حَوْضَهُ، فلا يَسْقِي فِيهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ رَفَعَ أحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إلى فِيهِ، فلا يَطْعَمُها" ..

وفي القرآن العظيمِ آياتٌ مُذهلةٌ، فيها وصفٌ دقيقٌ لـ :



زلزال الأرضِ ودمارها

وإنه والله لأمرٌ يفوقُ الخيالَ، يقولُ عنه الحقُّ جلّ وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: 1]، ففي أولِ الأمرِ سترجُفُ الأرضُ كُلُّها رجفاً شديداً، ثم تُرجُ رجّاً عنيفاً حتى يزولَ كلُّ ما عليها من معالمَ ومنشآتٍ، ولا يبقى إلا الجبالُ الرَّاسيات، ثم تُدكُّ الأرضُ دكّاً متتابعاً، قال تعالى: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} [الفجر:21]، فتتشققُ وتتباعدُ أجزائها عن بعضها، ويُصبحُ بينها أخاديدَ عظيمة، ثم تُحمَلُ هي والجبالُ فتدكُّ دكّةً واحدةً عظيمة، وهذا أعظمُ الهولِ وأشدُّهُ، كمن يرفعُ شيئاً ثم يرمي به بقوةٍ، ليتحولَ بعدها إلى فُتاتٍ مُتناثر، تأمّل: {وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الحاقة:14-15]، وتأمّل أيضاً: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}

[الزلزلة:1-5]، ويقولُ جلَّ وعلا: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [الواقعة:1-6]، فالأرضُ كُلها تُزلزلُ زلزالاً شديداً، وتُرجُ رجاً عنيفاً، وتُخرِجُ ما في جوفِها من الحِمم، وتقذِفُها لمسافاتٍ بعيدة، إلى أن تُغطي الأرضَ كلها بلهيبها السائل، في منظرٍ يخلعُ القلوب، حتى يتساءلَ الناسُ حينها ما لها، ما الذي جرى لها، والحالُ أنَّ اللهَ جلَّ جلالهُ هو الذي أمرها وأوحى لها ..

مصيرُ الجبالِ والبحار

ومن شدَّة الهول، وعظيمِ الأمر، فهذه الجبالُ العظيمة، الشَّامخةُ الصَّلدة، التي جعلها اللهُ رواسيَ وأوتاداً، كُلها تتحولُ إلى سرابٍ وهباءٍ منثور، وعهنٍ منفوشٍ كالقطن، وكثيبٍ مهيلٍ كالرمل، وقاعاً صفصفاً مُتساوياً، تأمل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ

يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه:105-107]، ويقولُ جلَّ وعلا: {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [الواقعة:4-6]، ويقول تبارك وتعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا} [المزمل:14]، ويقول جلَّ وعلا: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا} [النبأ:20]، ويقول تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة:5] .. آياتٌ كثيرةٌ تدلُ على أنَّ أمراً عظيماً هائلاً سيحدثُ لهذه الجبالِ الضَّخمة الصَّلدة، الرَّاسيةِ الشَّامخة، فيحولها إلى سرابٍ وهباءٍ وعِهنٍ منفوشٍ، وكثيبٍ مهيل، وقاعاً صفصفاً، لا ترى فيه عِوجاً ولا أمتا ..

وليست البحارُ بأحسن حالاً من الجبال، فعند قيامِ السَّاعةِ ستتحولُ جميعُ البحارُ بكلِّ ما فيها إلى دمارٍ وخرابٍ مروع، وخنادقَ هائلةٍ من النيران الملتهبة، تُسعَّرُ وتُسجَّر، وتشتعِلُ فيها

النيرانُ اشتعالاً، فتبدو معها الأرض كُلها وكأنها كُرةٌ من اللهب الهائل، قال تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير:6]، وقال تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} [الانفطار: 3]، وقال تعالى: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور:6] .. وصدقَ الله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:174] ..

مصيرُ السمواتِ وباقي الكون

وقيامُ السَّاعةِ لا يختصُ بالأرض وحدها، بل إنه يشملُ الكونَ كله، بكل ضخامتهِ الهائلة، واتساعهِ الفسيحِ المذهل، وبكلِّ ما فيهِ من أفلاكٍ ومجرات، ونجومٍ وكواكبٍ ومدارات، وما الأرضُ بكلِّ ما عليها إلا نقطةٌ صغيرةٌ بين مليارات النجوم والمجرات .. ولكي نتصورَ شيئاً من ضخامة هذا الكونِ الهائل، فإنَّ هذه الشمسُ التي نرها بوضوح، تبعدُ عنا قرابةَ الـ 150 مليون كم، بمعنى أنه لو أرادَ أحدٌ أن يقطعَ هذا المسافةَ بالطائرةِ مثلاً،

فسيحتاجُ إلى طيرانٍ مُستمرٍ لمدةِ 15 عاماً، فكيف بما هو أبعدُ من النجوم البعيدة .. إنها مسافاتٌ هائلةٌ سحيقة، يصعبُ تصورها، تأمَّل ماذا يقولُ اللهُ تعالى عن هذه السمواتِ العظيمة: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا} [النبأ:12]، وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق: 6]، وقال جلَّ وعلا: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} [الذاريات: 7]، وقال سبحانه وبحمده: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} [الأنبياء: 32]، وقال تبارك وتعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3]، وقال سبحانه: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر:57]، فهذه السماواتُ العظيمةُ رغمَ نظامِها المحبوكِ المتماسك، ورغمَ بناءِها الشديدِ المحكم، ورغمَ اتساعِها الهائلِ المذهل، وبكلِّ ما فيها من مجراتٍ ونجومٍ

وكواكب لا تعدُّ ولا تحصى، إلا أنها إذا قامت السَّاعةُ تُصبحُ ضعيفةً واهية، متشقِّقةً مُتداعية، تتفتَّحُ أبوابها، وتنفرجُ أطرافها، وتتفطَّرُ أجزائها، وتتناثرُ أجرامُها، وتنكسِفُ أقمارُها، وتنكدِرُ نجومُها، وينطمِسُ ضوئها، وتُكشَطُ طبقاتها، فتمورُ السماءُ موراً، وتُطوى كطي السجلِ للكتب طيًّا، يقولُ تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور:9]، ويقول جلّ وعلا: {فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} [الرحمن:37]، ويقولُ سبحانه: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} [الحاقة:16]، ويقول تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الانفطار:1-2]، ويقول سبحانه: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء:104]، فكلُّ شيءٍ ينصاعُ لأمر الجبارِ جلَّ وعلا، الكونُ كلهُ وبكلِّ ما فيه، من أصغر ذرةٍ وإلى أكبر مجرةٍ ينصاعُ لإرادة خالقةِ تبارك وتعالى، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:67] ..

اللهم آمن روعاتنا، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ..

الفصلُ السَّادس: البعثُ والنُّشور

ابتداءً فكثيرونَ يخلطونَ بين قيام السَّاعةِ ويومَ القيامة، فما هو:

الفرقُ بين قيام السَّاعةِ ويومَ القيامة

الفرقُ بينهما كبيرٌ، فالسَّاعةُ هي آخرُ أيامِ الدُّنيا، وبدايةُ خرابها وفنائِها، بينما يومُ القيامةِ هو بدايةُ أحداثِ الدَّارِ الآخرة .. السَّاعةُ كما مرَّ معنا زِلزالٌ مروعٌ ودمارٌ هائل، وأمَّا يومُ القيامةِ فهدوءٌ وسكون، قال تعالى: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه:108] .. السَّاعةُ تقومُ على هذه الأرضُ وهذه السموات، بينما يكونُ يومُ القيامةِ على أرضٍ وسماءٍ مختلفةٍ سيأتي الحديثُ عنها، قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم:48] .. السَّاعةُ تبدأُ بالنفخة الأولى: نفخةُ الصَّعقِ والموت، بينما يومُ القيامةِ يبدأُ بالنفخة الثانية: نفخةُ البعثِ

والحياةِ، وبينهما كما جاء في الحديث أربعون .. السَّاعةُ تقومُ على آخر الأحياءِ فتُميتهم، ويومُ القيامةِ يقومُ على أمواتٍ يُبعثونَ من قبورهم ..

ردُّ القرآنِ الكريم على مُنكري البعث:

قضيةُ البعثِ والنُّشورِ هي أكثرُ القضايا جدلاً بين الأنبياءِ وأقوامِهم، تأمَّل: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ} [النحل:38]، فهل يُعقلُ أن يعيشَ أناسٌ حياةً كُلها ظلمٌ وجبروتٌ وطغيان، ويعيشَ البعضُ الآخرُ حياةً كُلها برٌّ وخيرٌ وإحسان، ثم يموتُ الفريقانِ، وتنتهي قِصتُهم دونَ أن يُعاقبَ المسيءُ، أو يُكافئَ المحسِنُ، فأينَ الحكمةُ وأينَ العدل .. ولذا فالمتأملُ في القرآن الكريم، يلحظُ أنهُ كثيراً ما يُطالبُ البشرَ أن يُعمِلوا عُقولهم ويتفكروا في خلق السمواتِ والأرض، وفي خلق أنفسِهم، وكيفَ أحْكمَ اللهُ خلقهُ في أحسن تقويمٍ، ثمَّ إنَّ

من تمامِ الخلقِ تمامُ الحِكمةِ، ومن تمامِ الحِكمةِ تمامُ العدلِ .. ومن تمام الحِكمةِ إنتفاءُ العبث، تأمَّل: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون:115]، {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة:36]، فلا شكَّ أنَّ عدلَ اللهِ المطلقِ يستوجِبُ حياةً أخرى، {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم: 31]، ولذا يقولُ الله تعالى عن يوم القيامة: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ} [غافر:17] .. ولقد أقسمَ اللهُ جلَّ وعلا على بعثِ الناسِ ليوم الجزاءِ والحِساب، فقال تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: 7]، فكُفرُ المشركينَ وتكبُرهم على الحقِّ غطَّى على قلوبهم، وعلى سمعهم وابصارهم، تأمَّل: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف:146]، ولذا فهم بعدَ فواتِ الأوانِ يقولون:

{لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:10] .. واللافتُ لنظر من يتدبرُ القرآنَ الكريم، أنَّ اللهَ تعالى كثيراً ما يضربُ مثلاً لإحياء الموتى وبعثهم في يوم القيامة، بإحياء الأرضِ بعد موتها في الدنيا، تأمَّل: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر:9]، وقال تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الروم:19]، وتأمَّل كيفَ ربطَ اللهُ تعالى خَلقَ الانسانِ من ترابٍ، بالبعث والنَّشور، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [الحج:5]، فكما يحيِيُ اللهِ الأرضِ بعدَ موتها في كلِّ حين، ولو مضى عليها مئاتُ السنين، فكذلك يُحيي اللهُ الموتى بنفس الطريقةِ، تأمَّل: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي

الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت: 39]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف:57]..

نمو الأجسادِ من جديد

ذكرنا سابقاً أنَّ اللهَ تعالى يُميتُ الخلائقَ كُلها في نفخةِ الصعقِ الأولى إلا من شاءَ سبحانه، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر:68]، وجاء في صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "ما بيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ"، قالوا: يا أبا هُرَيْرَةَ أرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قالوا: أرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قالوا: أرْبَعُونَ سَنَةً؟ قالَ: أبَيْتُ، "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ

السَّماءِ ماءً فَيَنْبُتُونَ، كما يَنْبُتُ البَقْلُ" (أي الزرع) قالَ: "وليسَ مِنَ الإنْسانِ شيءٌ إلَّا يَبْلَى، إلَّا عَظْمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَومَ القِيامَةِ"، وفي صحيح مُسلم: قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لاَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا، مِنهُ يُرَكَّبُ الخلقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، قَالُوا أَىُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ "عَجْبُ الذَّنَبِ"، وعجْبُ الذنبِ عظمٌ دقيقٌ جداً في اسفل العُصص، ووظيفتهُ واللهُ أعلمُ كالبذرة للنبات، ووردَ في حديثٍ حسنهُ الامام الترمذي وضعفهُ الشيخُ الألباني: "ثمَّ يُنزِلُ الله تعالى: عليهم ماءً من تحت العرش، ثمَّ يأمرُ اللهُ السماءَ أَنْ تُمطر، فتمطرُ أربعينَ يوماً حتَّى يكونَ الماءُ فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، أي أنَّ هذا الماء يصلُ إلى كلِّ جُزءٍ من الأرض، كما قال تعالى: {أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:148]، وقال تعالى: {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدً} [الكهف:47]، ثمَّ يأمرُ

اللهُ الأجسادَ أن تنبُتَ فتنبتُ كالزرعِ .. ووردَ فيه ايضاً: "ثمَّ يقبضُ اللهُ الأرواحَ جميعاً ثم يُلقيها في الصُّور، ثم يأمرُ اللهُ إسرافيلَ أَنْ ينفخَ نفخةَ البعثِ، قال تعالى: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر:68]، فتخرجُ الأرواحُ كأَنَّها النَّحْلُ قد ملأت ما بين السماءِ والأرض، فيقولُ الله: وعزتي وجلالي ليرجِعنَّ كلُّ روحٍ إلى جسده، فتدخلُ الأرواحُ في الأرض إلى الأجسادِ، فتدخلُ في الخياشِيم ثمَّ تمشي في الأجساد كما يمشي السُّمُّ في اللديغ، ثمَّ تنشقُّ الأرضُ عنهم، وأنا أولُ من تنشقُ الأرضُ عنه، فتخرجون سراعاً حُفاةً عُراةً غُرلاً إلى ربكم تنسلون"، قال تعالى: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} [ق:44]، وقال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس:51]، وقال تعالى: {خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} [القمر:7]، وقال تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ

سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج:43]، وقال تعالى: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} [الانفطار:4]، وقال جلّ وعلا: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} [القارعة:4] ..

أمَّا خُلاصةُ كلامِ الصحابةِ والتابعينَ عن:

مصيرُ الأرواحِ بعد الموت:

هو أنَّ أرواحَ المؤمنينَ في عليين، وأنَّ أرواحَ المشركينَ في سجين، ووردت أخبارٌ مُتنوعةٌ توضحُ أنَّ أماكنَ الأرواحِ بحسبِ منزلةِ أصحابها، فأرواحُ الأنبياءِ في أعلى عليين، وأرواحُ الشهداءِ والمؤمنينَ في جوفِ طيرٍ خُضرٍ، تسرحُ من الجنَّة حيثُ شاءت، ومنهم من تُحبسُ روحهُ عند باب الجنَّةِ كالمديون، وأمَّا أرواحُ العُصاةِ فتُعذبُ كما جاءَ في حديث تنورِ الزناة، ومن ينامُ عن الصَّلاة، ومن يأكلُ الربا عياذاً بالله، وأرواحُ الكفارِ في سجين، في الأرض السفلى ..



صفةُ أرضِ المحشر

يقولُ اللهُ جلَّ وعلا عن أرض المحشر: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق:1-6]، مُدت: أي بُسطت وسويت كمدِّ الأديم، وألقت ما فيها: أي لفظت ما في جوفها من أجساد الموتى، وتخلَّت: أي خلا ما في جوفِها، فلم يبقَ فيه أحدٌ من الموتى إلا خرجَ إلى سطحها، وجاء في تفسير قولهِ تعالى: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات: 14]، أي: فإنَّما هي نفخةٌ واحدة، فإذا هم أحياءٌ على وجه الأرضِ، بعد أن كانوا أمواتاً في بطنها، والسَّاهرةُ هي الأرضُ الواسعةُ المستوية، وسميت بهذا لأنه لا ليلَ فيها ولا نوم، ففي الحديث الصحيح: قال ﷺ: "يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْرَاءَ، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ"، وجاء في حديثٍ حسنٍ: قال ﷺ: "إذا كان يومُ القيامةِ مُدَّتِ

الأرضُ مدَّ الأديمِ وزِيدَ في سِعتِها"، فالأرضُ إذن ستُمدُّ مداً عظيماً، وتصيرُ مُستويةً ملساءَ صُلبة، لا ارتفاعَ فيها ولا انخفاض، هكذا أعدها اللهُ تعالى ليحشُرَ عليها جميعَ المخلوقاتِ من جنٍّ وأنسٍ وحيوان، جاء في صحيح البخاري: قال ﷺ: "إنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يومَ القِيامَةِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويُنْفِذُهُمُ البَصَرُ"، تأمَّل: {خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر:7-8] ..

حالةُ النَّاسِ عند خروجهم من قبورهم

يقول الحقُّ جلّ وعلا: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام:94]، إذن فالكلُّ

سيأتي فُرَادَى، كما قال تعالى: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: 95]، كلٌ يأتي لوحده بعيداً عن الأهل والمالِ والولد، {لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف:48]، حفاةً عراةً غرلاً، الكلُّ سواسيةٌ لا تمايزَ بينهم، ليس معهم من متاع الدُّنيا شيئ، ولا حتى ما يستروا به أجسَادَهم العارية، فلا مالَ ولا منصبَ، ولا جاهَ ولا قرابةَ ولا نسبَ، قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون:101] ..

وحين يبدأونَ بالخروج من باطن الأرضِ يُبهتونَ بما يرون، ويتفاجؤونَ ويتحيرون، فالأرضُ غيرُ الأرض، والحالُ غيرُ الحال، وأولُ ما يقولهُ الكفارُ حين يتبينونَ الحقيقة: يا ويلنا، تأمّل: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس:51-52]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} [الروم:12]، أي يتحيرون، وأمّا المؤمنون فيثبتهم الله، قال تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء:103]، وحينما تذهبُ روعةُ الموقفِ، يتذكرُ كُلُّ أنسانٍ من هو، وما هي الحالُ التي كانَ عليها من قبل، قال تعالى: {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} [النازعات:35]، وفي هذه اللحظاتِ الحاسمة، تتضاءلُ في حسِّ الانسانِ حياتهُ التي عاشها وإن طالت وحسُنت، فلا تساوي أكثرَ من ساعةٍ من الزمن، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات:46]، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم:55] ..

فلو تخيلنا رجلاً غنياً يعيشُ عيشةً في قمة النَّعيمِ والتَّرف، وفي أثناء ركوبهِ لطائرته مُسافراً، سقطت به في صحراءٍ قاحلةٍ، حيثُ لا ماءَ ولا طعامَ ولا ظلَّ، فلو استمرَ فيها يوماً أو يومينِ فسيبلغ

به الجهدُ والعطشُ مبلغاً عظيماً، حتى يرى أنَّ كلَّ ما عاشهُ من نعيمٍ وترفٍ كالوهم والسَّراب، لا يتجاوزُ ساعةً من نهار .. فإذا جازَ هذا في أحوال الدنيا، فكيف بأهوال يومِ القيامة ..

وإذا كان الانسانُ بعد البعثِ سيتذكرُ حالتهُ السابقة، ويتمنى أنه قدَّمَ لنفسه خيراً، كما قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر:23-24]، فلا بدَّ أن نستعِدَّ لذلك البعثِ وتلك الحياة، قال تعالى: {ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} [النبأ:39]، وقال جلّ وعلا: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان:29] .. نسأل الله التوفيقَ والسداد ..

الفصلُ السَّابع: أحوالُ الناسِ في عرصات القيامة

إنها الحقيقة: فيومُ القيامةِ يختلفُ عن أيامِ الدنيا، فلقد مضى زمنُ الامتحانِ والابتلاء، وجاءَ زمنُ الحسابِ والجزاء، وأفاقَ الخلقُ من سكرة الغفلةِ والعِنادِ والهوى، يقولُ قائلهم: {يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} [الأنبياء: 97]، {يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا} [الأنعام:31]، {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر:24]، فيومُ القيامةِ يومٌ عسيرٌ ثقيلٌ، رهيبٌ طويلٌ، طولهُ خمسونَ ألفَ سنة، يومٌ كثيرُ الأحداثِ، متنوعُ المواقف، فبعد نمو الاجسادِ، وخروجُ الناسِ من قبورهم، تأتي مرحلةُ:

جَمْعُ الناسِ وسوقِهم، وتصنيفُهم إلى فئاتٍ ودرجات

حيثُ يُساقُ كُلٌّ إلى مكانهِ المخصَّصِ لهُ في أرض المحشرِ، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه:108]، وقال تعالى:

{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} [ق:21]، فكلُ نفسٍ سيكونُ معها في المحشر ملكانِ، مَلكٌ يقودُهُا لمكان وقوفِها المحدَّدِ، والآخرُ ليشهدَ عليهِ بعمله، فكما أنَّ الجنَّةَ درجات، بعضُها أعلى من بعض، وكما أنَّ جهنَّمَ عياذاً بالله دركات، بعضُها أسفلُ من بعض، فإنَّ مواقفَ الحشرِ مُقسَّمةٌ إلى أُممٍ وفئات، فلا يمكنُ لمؤمنٍ أن يُحشرَ مع الكفَّار، ولا يمكنُ لكافرٍ أن يُحشرَ مع المؤمنين، وكذلك الشأنُ في المنافقين، تأمَّل: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم: 85-86] ..

والنبي ﷺ هو أولُ من تنشقُ عنه الأرض، ويخرجُ من قبره، ثمَّ يخرجُ النَّاسُ بعد ذلك على إثره، قال ﷺ: "أنا الحاشرُ الذي يُحشُر الناسُ على قدمي"، يعني على أثري، فيقوم ﷺ أولاً، ثمَّ يُقومُ النَّاسُ من بعده، ويحشرُ المؤمنون فئةً لوحدهم، قال اللهُ تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً} .. وقال جلَّ

وعلا في شأن الكفرةِ الظَّلمة: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات:22-23]، أي أشباههم ومن هو على شاكلتهم، فيُحشرُ اليهودُ معاً، والنصارى معاً، ويُحشرُ الزناةُ مع الزناة، والمرابون مع المرابين، وهكذا فكل طائفةٍ تُحشرُ على حدة، ومن أحبَّ قوماً حُشر معهم، وجاء في حديثٍ حسَّنهُ بعضُ أهلِ العلم، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمُ إلى النَّارُ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ" ..

ثم إنَّ المعرضينَ عن هدي اللهِ وذكرهِ يُحشرون عُمياناً، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه:124]، ويحشرُ الكفارُ بصورةٍ أعجبَ وأشنع، تأمَّل: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}

[الإسراء: 97]، والشياطينُ تُحشرُ كذلك: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} [مريم:68]، ولا يبقى شيءٌ إلا ويحشرُ حتى الوحشُ والطير، قال تعالى: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير:5]، وقال جلَّ وعلا: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام:38]، قال ابن عباس رضي الله عنه: يحشرُ كلُّ شيءٍ حتى الذباب، قال تعالى: {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف:47] ..

أحوالُ الناسِ بعد الحشر

يومُ القيامةِ هو يومُ الجزاءِ والحساب، وكلٌّ يجزى بحسب عمله، قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [القصص:84]، وقال تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ} [غافر:17]، فالمؤمنون الصالحون: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء:103]، وقال تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} [الإنسان:11]، فمنهم من يُظلهُ اللهُ في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظلهُ، كالسبعة الذين جاءَ ذكرهم في الحديثِ المشهور، وكُلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقتهِ يومَ القيامةِ حتى يُفصلَ بين الناس، وكذلك من أنظرَ مُعسراً أو وضعَ عنه، والمشائينَ في الظُّلم إلى المساجد لهم نورٌ تامٌ يومَ القيامة، والمؤذنونَ يومئذٍ أطولُ النَّاسِ أعناقاً، ومن ماتَ على عملٍ صالحٍ بُعثَ عليه، والمتحابونَ بجلال اللهِ على منابر من نور يغبطهم الأنبياءُ والشُّهداء، وإنَّ يومَ القيامَةِ على المؤمنينَ كقدْرِ ما بينَ الظُّهرِ والعصرِ .. إلى غير ذلك من الأحوال الحسنة، وكُلُّ ذلك ثابتٌ في الاحاديث الصحيحة .. وأمَّا العصاةُ المجرمون وأهلُ الكبائرِ فبحسب أعمالِهم أيضاً، يقولُ الحقُّ جلَّ

وعلا: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: 25]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: 161]، أي: يأتي به يحملهُ على ظهره، يُعذبُ بحمله ويُفضحُ به بين الخلائق، و{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة:275]، والمتكبرونَ يُحشرونَ أمثالَ الذَّرِ في صُور الرِّجالِ تطؤهم الخلائقُ بأقدامها، ويغشاهم الذُّلُ من كلِّ مكان، والمجرمونَ يُحشرونَ زُرق العيونِ، وجوهُهُم مُسودة، {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [المعارج:44]، وفي صحيح البخاري: "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاء، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ"، وفي صحيح مُسلم: قال ﷺ: "ما مِن صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْها حقَّها، إلَّا إذا كانَ يَوْمُ

القِيامَةِ صُفِّحَتْ له صَفائِحُ مِن نارٍ، فَأُحْمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ، فيُكْوَى بها جَنْبُهُ وجَبِينُهُ وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ له، في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، حتَّى يُقْضَى بيْنَ العِبادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ؛ إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ"، وفي صحيح البخاري: "مَنْ أَخَذَ مِنْ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ"، و"ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، "شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"، وفي رواية: "الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ"، والروايتانِ في مُسلم، وفي الصحيحين: "ولا يزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ حتى يأتي يوم القيامةِ وليس في وجهه مُزعةُ لحمٍ"، و"مَن كانَت لَهُ امرأتانِ فمالَ إلى إحداهما جاءَ يومَ القيامةِ وشِقُّهُ مائِلٌ"، و"مَنْ سُئِلَ عِلْماً فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ"، حديثانِ صحيحان، وفي البخاري ايضاً: "مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ؛ كُلِّفَ أَنْ

يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ"، وفي صحيح مسلم: "النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَب" .. وغيرها من صور العذابِ والنَّكالِ عياذاً بالله ..

مرحلةُ الانتظارِ الطَّويلِ والمعاناةِ الشَّديدة

فبعدَ أن يأخذَ النَّاسُ أماكِنَهم، ويقفُ كُلُّ منهم في موضِعه المحدَّدِ بحسبَ عملهِ وما قدم، وليس للإنسان يومَ القيامةِ إلا موضعَ قدميه، حتى يبدو للناظر من علوٍ، أنهُ ليسَ في أرضِ المحشرِ إلا رؤوسٌ فقط .. فيُعاني الكفارَ والعُصاةَ من الأهوالِ والشدائدِ وأنواعِ العذابِ مالا يُحتملُ، ولكنَّ اللهَ تعالى قضى أن لا موت، جاء في حديثٍ صحيح: قال ﷺ: "تُعطى الشمسُ

يومَ القيامةِ حرَّ عشرَ سنين ثم تُدنى من جماجم الناس"، وفي صحيح البخاري: قال ﷺ: "يَعْرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ حتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأرْضِ سَبْعِينَ ذِراعًا، ويُلْجِمُهُمْ حتَّى يَبْلُغَ آذانَهُمْ"، وجاء في حديثٍ صحيح: "تدنو الشمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ، حتى تكونَ منهم كمقدارِ مَيلٍ، فيكونُ الناسُ على قدرِ أعمالهم في العَرقِ، فمنهم من يكونُ إلى كعبَيه، ومنهم من يكونُ إلى ركبتَيه، ومنهم من يكونُ إلى حِقْوَيه، ومنهم من يُلجِمهُ العرقُ إلجامًا" ..

لا إله إلا اللهُ: وقوفٌ طويلٌ جداً، وأرضٌ صلبةٌ تمنعُ العرقَ من التَّسرب، وأجسادٌ عاريةٌ مُتلاصِقة، وشمسٌ قريبةٌ قويةٌ حارقة، وعرقٌ يبلغُ الآذان ويلجِم الناس إلجاماً، ويخنقهم برائحته النتنة، ويجعلُهم يعانونَ آلاماً لا تُطاق، حتى أنهم من هول الأمرِ وشدَّةِ المعاناة، يصرخونّ قائلين: خذونا ولو إلى النَّار، فلا يجابون، ولقد وصفَ الله تعالى هذا اليومَ العظيم في كتابه فقال:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: 17]، وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:26]، وسماه الله تعالى: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:10]، وسماه كذلك: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27]، و﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7]، هذا اليومُ سيطولُ على الكفَّار والعُصاةِ طولاً بعيداً، وقد أبصروا الحقيقة، فتطولُ معاناتهم، وتشتدُّ حسراتهم، ويزدادُ ندمُهم، ويعظُمُ ألمهم، تأمَّل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام:31]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:27]، ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:40]، حتى أنهم من شدَّةِ الأمرِ وهولِهِ، ينشغلُ كلٌّ منهم بنفسه، وينسى غيرهُ، فلا يلتفتُ إلى قريبٍ ولا إلى حبيب، ﴿فَإِذَا نُفِخَ

فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون:101]، {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس:33-37]، ولم لا فقد ظهرت الحقيقةُ التي طالما كذَّبَ بها المجرمون، {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} [الصافات:21]، {أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطور:15] ..

وإنها والله فرصةٌ عظيمةٌ للتفكُّر والمراجعة، والتأمُّلِ جيداً في هذا الموقفِ الرهيبِ المهول، وذلك اليومِ الثقيلِ الطويل، البالغِ خمسينَ ألفَ سنة، وتلك الشمسُ القريبةُ الحارقةُ، التي لا تغادرهم ولا ترتفعُ عنهم، والناسُ تحتها يسبحونَ في عرقِهم النتن، ويعانونَ مالا يُحتمَلُ ولا يُطاق من الآلام والنَّكال .. فكم سيدفعُ الكفَّارُ ثمناً لفِكاكِهم من هذا الكربِ العظيم، والموقفِ العصيب، وبكم سيفتدي العُصاةُ أنفسهُم جراءَ استنكافِهم عن

طاعة اللهِ، وماذا سيُغني عمن فرَّطَ في الصَّلاة، وكم سيدفعُ من وضعَ كتابَ اللهِ وراءهُ ظِهرياً واتَّبعَ هواهُ، تأمَّل: {يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ} [المعارج:11-14]، وتأمَّل أيضاً: {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: 47]، نعم إنه يومُ الصَّاخَّةِ، ويومُ الحاقَّةِ والقارعةِ، يومُ الطَّامَّةِ الكبرى، {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} [النازعات:35]، {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر:52]، {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 6-8] ..

الفصلُ الثَّامن: الحوضُ المورود

الماءُ هو قِوامُ الحياة، وبدونه لا وجودَ لها، وإنَّ من أشدِّ ما يُعانيهِ النَّاسُ في ذلك الموقفِ الرَّهيبِ الطَّويل، انعِدامُ الماء، حتى يصلَ العطشُ بالنَّاس مبلغاً عظيماً، ويكونونَ في كربٍ إليم، وحرٍّ وظمأٍ شديد، تجفُّ اجوافهم، وتلتهبُ حلوقهم، وتتقرحُ أشداقُهم، فمن رحمةِ اللهِ بعباده المؤمنين وإكرامهِ لأنبيائه أنَّ يجعلَ لكلٍّ منهم بأرض المحشرِ حوضَ ماءٍ خاصٍ به، يُشرِفُ عليْه بنفسه، ويأتيهِ أتباعهُ المؤمنونَ ليشربوا، قال رسولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وإنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أيُّهُمْ أكْثَرُ وارِدَةً، وإنِّي أرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ وَارِدَةً"، صححهُ الألباني ..

حوضُ الكوثر

ولئن كانَ لكلِّ نبيٍّ حوضٌ خاصٌ به، فإنَّ أعظمَها وأكبرها هو حوضُ نبينا محمَّدٍ ﷺ، فعن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: أغفى

رسولُ اللَّهِ إغفاءةً، فرفعَ رأسَهُ مبتَسِمًا، فقالوا لهُ لِمَ ضحِكْتَ يا رسولَ اللَّهِ فقالَ: "إنَّهُ أُنزِلَت عليَّ آنفًا سورةٌ فقرأَ: سورة الكوثر حتَّى ختمَها ثم قالَ لهم: "هَل تَدرونَ ما الكَوثرُ قالوا اللَّهُ ورسولُهُ أعلَمُ. قالَ: هوَ نَهْرٌ أعطانيهِ ربِّي عزَّ وجلَّ في الجنَّةِ علَيهِ خيرٌ كثيرٌ" .. والكوثرُ غيرُ الحوضِ، فالكوثرُ: كما في صحيح البخاري، أنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِى أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ"، وأمَّا الحوضُ: فهو مجمَعُ الماءِ في أرض المحشر، وماؤهُ مُستمدٌّ من نهر الكوثر، فالكوثرُ والحوضُ ماؤهما واحدٌ، إلا أنَّ أحدهما في الجنة، والآخرُ في أرض المحشر، وكلاهما يُسمى الكوثر، لكثرته وعِظَمِ خَيرِه، قال ﷺ في وصف الحوضِ كما في صحيحِ مُسلم: "يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ"، ويغتُّ: أي يتدفقُ تدفُقاً

شديداً، وأحاديثُ الحوضِ ثابتةٌ متواترةٌ، تزيدُ على الخمسينَ حديثاً ..

وقد ذكرَ النبيُّ ﷺ أوصافاً عجيبةً لحوضه الشريف، ترغيباً وتحفيزاً للمؤمن ليبذلَ الأسبابَ الموجبةَ لوروده والشُّربِ منهُ، كقوله ﷺ: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، سِعتهُ كما بينَ أيلةَ وصنعاء، وزَوَاياهُ سَوَاءٌ، طولهُ مَسيرةُ شهرٍ، وعرْضهُ مَسيرةُ شهر، ماؤهُ أشدُّ بياضاً من الثلج، وريحهُ أطْيبُ من المِسك، وطعمهُ أحلى من العسلِ باللَّبن، وكِيزانهُ كنجوم السَّماء، أي في عددِها ونورِها ولمعانِها، مَن شرِب مِنهُ شربةً لا يظْمأ بعدها أبدًا .. وكلُّ ذلك ثابتٌ في الأحاديث الصحيحة .. وهكذا فجمالُ صفاتِ هذا الحوضِ العظيم تُذهِلُ العقل، وتُحفزُ النَّفس، وتستثيرُ إيمانَ المسلمِ ليُجدِّدَ العهدَ مع ربه تبارك وتعالى .. والمؤمنُ الصادقُ إذا سمعَ بمثل هذه الأحاديثِ اشتاقت نفسهُ، وعلت همتهُ ليعملَ كلَّ ما يمكنه حتى لا تفوتُهُ هذه الشربةُ الهنيئة .. فاللهُ تعالى

سيكرمُ نبيهُ المصطفى ﷺ وأمتهُ المرحومةَ بحوضٍ عظيم، لونه أشدُّ بياضاً من الثلج، وريحهُ أطْيبُ من المِسك، وطعمهُ أحلى من العسلِ، وحينَ يُرفعُ لهم هذا الحوضُ ويتراءونَهُ، ينطلِقونَ إليه مُستبشرين، حتى إذا ما أتوهُ وجدوا أنَّ نبيهم ﷺ قد سبقهُم إليه، قائماً ينتظرهم هناك، فيصِلونَ إليه وقد بلغَ بهم العطشُ مبلغاً عظيماً، جاء في صحيح مُسلمٍ قال رسول الله ﷺ: "إِنِّي علَى الحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَن يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُمْ"، وفي مُسلم أيضاً: "وإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عنْهُ، كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عن حَوْضِهِ، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا يومَئذٍ؟ قالَ: نَعَمْ لَكُمْ سِيما ليسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِن أَثَرِ الوُضُوءِ"، وإبعادُ النبي ﷺ للآخرينَ عن حوضه إنَّما هو بأمر اللهِ وحكمتِه، فذهابُ كُلِّ مؤمنٍ من الأُمم الأخرى لحوض نبيهم، هو أبلغُ في ظهور مكانةِ ذلك النبي عندَ قومِهِ، كما أنَّ فيه إبرازٌ لمكانةِ هذه الأمةِ وخيريتها من بين سائرِ الأمم ..

موعِدكُم الحوض

جاء في الحديث الصحيح: "إِنِّي بين أيديكم فرطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم؛ وإِنَّ موعدَكم الحوضُ"، فإذا كانَ المصطفى ﷺ قد ضربَ لنا موعداً، وسينتظرنا ﷺ بجوار حوضهِ الشريف، وسيعرفنا من بين جموع الناسِ المتكاثرة، فماذا أعددْنا لذلك اللقاء الجميلِ الجليلِ المهيبِ، ماذا اعددنا ليُسمحَ لنا بأن نقتربَ ونشرب، فليس كلُّ النَّاسِ سيُسمحُ لهم، بل إنَّ هناك من سيطردُ ويذاد، ففي صحيح البُخاري، أنَّ النَّبي ﷺ قال: "إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ" ..

فتصور أنَّ هناك أُناساً سيرِدُونَ الموقفَ وهم عطْشى بأمسِّ الحاجةِ ليطفؤوا ظمأهم، ويرووا غليلهم، ولكنهم يذادونَ



ويبعدون، نعم: يرِدُ المؤمنونَ أحواضَ أنبيائهم فيشربون، ويذادُ عنهُا ويُطردُ من خالفَ جماعتهم، وفارقَ سبيلهم، يُطردُ عنها أولئك الذين بدَّلوا دينَهم وحرَّفوه، وأحدثوا فيه وغيروه، ويُطردُ عنها الظَّلمةُ المسرفونَ في جورهم، وأصحابُ الكبائرِ المصِّرينَ على كبائرهم .. أمَّا الكفَّارُ ومن استوجبَ الخلودَ في النَّار فلهم مع الماء والعطشِ شأنٌ آخر، ففي صحيح البخاري يقولُ الكفَّارُ: "عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ، فيُحْشَرُونَ إلى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ" .. قال جلَّ وعلا: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور:39]، وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف:29] ..

إذن فالحوضُ بإذن اللهِ ورحمته، هو مُلتقى أهلِ الإيمان، قبل دخولهم الجِنان، وهو موعِدُ لقاءهم مع الحبيب المصطفى ﷺ، هناك يُطفأُ ظمأهم، ويَسكُنُّ خوفهم، وتَقرُّ عُيونهم، برؤية نبيهم وحبيبهم ﷺ، وصحابتهِ الكرام، وسادةُ الأمَّةِ الأعلام ..

الحوضُ: هو بدايةُ فرحِ المؤمنين في الآخرة؛ لأنه لا يشربُ منه إلاّ الفائزون المفلحون .. نسألُ اللهَ الكريمَ من فضله ورحمته ..

أهمُّ الأسبابِ التي تمكنُ المسلمَ من ورود الحوضِ والشُّربَ منه:

لقد ذكرَ العلماءُ أسباباً عِدةً تمكنُ المؤمنَ بفضل اللهِ أن يصلَ للحوض ويفوزَ بتلك الشَّربةِ الهنيئة، وأولُ تلك الأسبابِ وأهمِّها: الاستقامةُ على دينِ الله، فالمتمسكُ بكتاب اللهِ الحكيم، المتَّبعُ لسنة رسولهِ الكريم، الحريصُ على اتباع هديهِ القويم، البعيدُ عن البدعِ والظُّلمِ وكبائرِ المنكرات، هو من سيأتي ربهُ

بقلبٍ سليم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "إني قد تركتُ فيكم شيئينِ لن تضلوا بعدهما: كتابُ اللهِ وسنتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليَّ الحوض"، صححه الالباني، وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "إِنِّي فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ، مَن مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، ومَن شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ، فأقُولُ إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن غَيَّرَ بَعْدِي"، متفقٌ عليه ..

وثاني الأسباب: عدمُ إعانةِ الظَّلمةِ على ظُلمهم، فعن كعبِ بن عُجرةَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له: "أعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ"، قَالَ وما إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ، قَالَ: "أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِى، لاَ يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلاَ يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ



فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي"، والحديث صححهُ الألباني ..

وثالث الأسبابِ: الصبرُ على نقصِ حُظوظِ الدنيا، واستئثارُ الآخرينَ بها، ففي صحيح البخاريُ ومسلمُ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ للأنصار: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ" ..

ورابعُها: المحافظةُ على الوضوء، فأمَّةُ محمدٍ ﷺ يُعرَفونَ يومَ القيامةِ بمجرد النظرِ إليهم، ففي صحيح مُسلمٍ، قال رسولُ الله ﷺ: "تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتي الحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عنْه، كما يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عن إِبِلِهِ، قالوا يا نَبِيَّ اللهِ أَتَعْرِفُنَا؟، قالَ: نَعَمْ، لَكُمْ سِيما ليسَتْ لأَحَدٍ غيرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثَارِ الوُضُوءِ" .. اللهم نسألك توفيقاً عظيماً لما تحب وترضى، وثباتاً دائماً على الحقِّ والهدى ..

الفصلُ التاسع: الشَّفاعةُ العظمى

مع ازدياد أهوالِ يومِ القيامة، وحينَ يطولُ الأمرُ على النَّاس، ويصلُ بهم الكربُ إلى ما لا يطيقون، فالشمسُ حارقةٌ، والحرُّ والزِّحامُ شديدٌ، والنَّاسُ في عرقهم على قدر أعمالهم، حتى أنَّ منهم من يُلجِمهُ العرقُ إلجاماً، ويشتدُّ بهم العطشُ، حتى يصلَ بهم مبلغاً عظيماً، فيأخذُ النَّاسُ بعدها في البحث عمن يَشفعُ لهم ليأذنَ اللهُ في بدءِ القضاءِ بين العباد، وليُخلِصَهم مما هُم فيه من الكرب الطَّويلِ والمعاناةِ الشَّديدة ..

تعريفُ الشَّفاعة وأنواعِها:

الشَّفاعةُ معناها: التَّحدثُ نيابةً عن الغير، لطلب نفعٍ أو تفريجِ كُربة، وهي نوعان، حسنةٌ وسيئة، فالحسنةُ في الخير والحقِّ، والسيئةُ في الباطل والشرِّ، قال تعالى: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ

كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} [النساء: 85]، وكما أنَّ الشَّفاعةَ الحسنةَ رحمةٌ بالمشفوع، فهي كرامةٌ للشَّافع، يَظهرُ بها فضلهُ ومنزلته، في الحديث الصحيح: "اشفعوا تُؤجَروا"، وكلمَّا كانَت الكُربةُ أشدُّ وأعقدُ، كانت الشَّفاعةُ أحوجُ وآكدُ، وأعظمُ أجراً، ولذلك فالشَّفاعةُ يومَ القيامةِ لها شأنٌ عظيم، لعِظم الكربِ، ولأنَّ الكلَّ في حاجةٍ ماسةٍ لها .. لكن من الذي يستطيعُ أن يشفعَ يومها، فالجبارُ جلَّ وعلا لا يأذنُ بها لأيِّ أحدٍ، تأمَّل: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:26]، وقال تعالى في أعظم آيةٍ في كتابه: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:255]، وقالَ اللهُ تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء:28]، فالشَّفاعةُ ثابتةٌ بالكتاب والسنةِ وإجماعِ سلفِ الأمَّةِ، وهي المقامُ المحمودُ الذي يقومهُ المصطفى

ﷺ أمامَ الخلائقِ يومَ القيامةِ، فيشفعُ لهم عند اللهِ جلَّ وعلا ليُريحَهُم من ذلك الكربِ العظيم، والعناءِ الطويل، وهي المقصودُ بقوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء:79]، وبقوله ﷺ في صحيح مُسلمٍ: "أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"، وجاءَ تفصيلُ ذلك في الصحيحين: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَيَقُولُونَ

لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ .. وخلاصةُ الحديث، أنهم يَأْتُونَ نُوحًا ثم إِبْرَاهِيمَ ثم مُوسَى ثم عِيسَى، وكلهم يَقُولُ كما قال آدم: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، حتى يقولَ عيسى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ .. وفي رواية قال: (نعم أنا لها)، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ

شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ"، ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى" ..

والمتأمّلُ في هذا الحديثِ العظيمِ يلحظُ أنَّ هناكَ إشكالاً ظاهراً، بين أولِ النَّصِ وآخرهِ، ففي أولِ النَّصِ، إنَّ النَّاسَ يأتونَ آدمَ فمن بعدهُ من الرسل ليُشْفَعَ لهم ويَخلَصوا من الكربِ، بينما في آخر النَّصِ ظهرَ أنَّ شفاعةَ الرسولِ ﷺ خاصةٌ بأمته، فكيفَ يُدفعُ هذا الاشكال، والجوابُ: أنَّ للرسول ﷺ نوعينِ من الشَّفاعةِ، عامةٌ وخاصة، فالعامَّةُ ليقضِيَ اللهُ بين الناسِ ويُريحُهم من كرب الموقفِ، وشفاعةٌ خاصَّةٌ بأمته ليَدخلوا الجنَّة، وليَخرُجَ

عُصاتها من النَّار، والشَّفاعةُ العامَّةُ لأهل الموقفِ تدخلُ ضمناً في الشَّفاعة الخاصَّةِ لأمته ﷺ، لأنهُ لا يمكنُ أن يُقضى لأمته دونهم .. وجوابٌ ثانٍ: أنَّ ما طُوي هنا من أمر الشَّفاعةِ العامَّةِ أشهرَ من أن يُذكر، وقد أوضحتهُ أحاديثَ أخرى صحيحةٌ، منها حديثُ ابن عمرٍ في البخاري: "إنَّ الشَّمسَ تدنو يومَ القيامةِ حتى يبلُغَ العَرَقُ نِصفَ الأُذُنِ، فبَيْنا هُم كذلك، استَغاثوا بآدَمَ ﷺ فيقولُ: لسْتُ صاحبَ ذاكَ، ثمَّ بموسى ﷺ، فيقولُ ذلك، ثمَّ بمحمَّدٍ صلوات الله عليهم أجمَعينَ فيَشفَعُ لِيقُضَى بيْنَ الخَلْقِ" .. وجوابٌ ثالثٌ: أنَّ الحديثَ جاء خاصٌ بأمّة المصطفى ﷺ، وأنهم وحدهم المخاطبونَ بهذا الحديث، وأمَّا غيرهم من صالحي الأممِ السابقةِ فقد مضوا، ولا يمكنهم أن يعرفوا عنهُ شيئاً ..

هذه هي الشَّفاعةُ العظمى، والمقامُ المحمودُ الذي أكرمَ اللهُ به مُصطفاهُ وخليلهُ محمداً ﷺ، وهيَ الشَّفاعةُ الأولى للرسول ﷺ ضمنَ شفاعاتٍ كثيرةٍ سيأتي بيانها في فصلٍ قادمٍ بإذن الله ..

ومن جميل ما قالهُ بعضُ أهلِ العلم: أنَّ الشَّفاعةَ العظمى منزلةٌ كبرى، لا تنبغي إلا لأفضلِ الخلقِ وسيدُهم، وأنَّ إلهامَ اللهِ تعالى لأهل المحشرِ أن يذهبوا لآدمَ فمن بعدهُ من الرسل، ثم تنحِيهم جميعاً عن الشَّفاعة، أنَّ ذلك إبرازٌ لمكانه الرسولِ ﷺ، وبيانٌ لعلو منزلتهِ، وأنهُ سيدُ بني آدم، وأفضلُ الخلقِ أجمعين، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في الحديث الصحيح: "أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، وما من نبيٍّ يومئذٍ آدمَ فمن سواهُ إلَّا تحتَ لوائي"، وجاء في رواية صحيحة: "وأَنا أوَّلُ من يدخلُ الجنَّةَ ولا فخرَ" ..

وصدقَ اللهُ العظيم: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: 128-129] ..

أهمُّ الأسبابِ لنيل شفاعةِ النبيِّ ﷺ:

إنَّ مما يجدرُ التنبيهُ عليه، أنَّ شفاعةَ المصطفى ﷺ، لن تكونَ إلا لأهل التوحيدِ والإخلاص، رغمَ أنَّ الجميعَ سيكونُ بأمسِّ الحاجةِ لها يومَ القيامة، ففي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)، وفي صحيح البخاري، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: " أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِي

يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ" .. هذا أول الأسبابِ وأهمها ..

كما أنَّ من أسباب نيلِ شفاعةِ المصطفى ﷺ يومَ القيامةِ، ما جاءَ في صحيح مُسلمٍ، أنَّ النبي ﷺ قال: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"، وفي صحيح البخاري: قال ﷺ: "مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ" ..



ومن أسبابِ نيلِ شفاعةِ النبيّ ﷺ يومَ القيامة، كثرةُ الأعمالِ الصالحة، خُصوصاً الصَّلاة، ففي الحديث الصحيح: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لخَادِمٍ له: (أَلَكَ حَاجَةٌ؟)، قَالَ: حَاجَتِي، أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فقَالَ ﷺ: (فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) ..

ومن أسباب نيلِ شفاعةِ المصطفى ﷺ يومَ القيامةِ، العدلُ وعدمُ الظلم، ففي حديثٍ حسنهُ الإمامُ الألبانيُ رحمهُ الله، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "صنفانِ من أُمَّتِي لن تنالَهُما شفاعتي، إمامٌ ظلومٌ غشومٌ، وكُلُّ غالٍ مارقٍ"، ومِصْداقُ ذلك من كتاب الله، قَولُه تَعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر:18] ..

نسألُ الله التوفيقُ لما يحبُّ ويرضى ..

الفصلُ العاشر: العرضُ العامُّ على الله تعالى

جاء في حديثٍ جليلٍ طويل، وإن كان في اسناده نظرٌ، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "تُوقفُونَ مَوْقِفاً وَاحِدًا يَوْمَ الْقِيامَةِ مِقْدَارَ سَبْعِينَ عام، لا يُنْظُرُ إِلَيْكُمْ وَلا يُقْضَى بَيْنَكُمْ، قَدْ حُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَتَبْكُونَ حتى يَنْقطِعَ الدَّمْعُ، ثُمَّ تَدْمعُون دماً وَتَبْكُون حتى يَبْلُغَ ذلكَ مِنْكُمْ الأَذْقَانَ، أَوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضُجُّونَ، ثُمَّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَنا إلى رَبِّنا، فَيَقْضِي بَيْنَنا، فَيَقُولُونَ مَنْ أحَقُّ بِذلكَ مِنْ أَبِيكُمْ، جَعَلَ اللهُ تُرْبَتَهُ وَخَلْقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وكَلَّمَهُ قُبُلا فَيُؤْتَى آدَمُ ﷺ فَيُطْلَبُ ذلكَ إِلَيْهِ فَيأْبَى، ثُمَّ يَسْتَقْرُونَ الأنبياءَ نَبِيًّا نَبِيًّا، كُلَّما جاءُوا نَبِيًّا أبى"، قال رسولُ الله ﷺ: "حتى يَأْتونِي، فإذَا جاءُونِي خَرَجْتُ حتى آتِي الفَحْص"، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحصُ؟ قال: "قُدَّامَ العَرْشِ، فأخِرُّ ساجِدًا، فَلا أَزالُ ساجِدًا حتى يَبْعَثَ اللهُ إِلَيَّ مَلَكًا،

فَيأْخُذَ بعَضُدِي، فَيرْفَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِي: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أعْلَمُ، فأقُولُ: نَعْم، فَيَقُولُ: ما شأنُكَ؟ فأقول: يا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفاعَةَ، شَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ: قَدْ شَفَّعْتُكَ، أنا آتِيكُمْ فأقْضِي بَيْنَكُمْ". قال رسولُ الله ﷺ: "فأنصَرِفُ حتى أقِفَ مَعَ النَّاسِ، فَبَيْنا نَحْنُ وَقُوفٌ، سَمِعْنا حِسًّا مِنَ السَّماءِ شَدِيدًا، فَهالَنا، فَنزلَ أهْلُ السَّماءِ الدُّنْيا بِمِثْلَيْ مَنْ فِي الأرْضِ مِنَ الجِنِّ والإنسِ، حتى إذَا دنوْا مِنَ الأرْضِ، أشْرَقَتِ الأرْضُ، بِنُورِهِمْ، وأخَذُوا مَصافَّهُمْ، وَقُلْنا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ، ثُمَّ يَنزلُ أهْلُ السَّماءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نزلَ مِنَ المِلائِكَةِ، وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنِّ وَالإنْسِ، حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ أشْرَقَتِ الأرضُ بِنُورِهِمْ، وأخَذُوا مَصافَّهُمْ، وَقُلْنا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ. ثُمَّ نزلَ أهْلُ السَّمَوَاتِ عَلى قَدْرِ ذلكَ مِنَ الضِّعْفِ حتى نزلَ الجَبَّارُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةِ، وَلَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ، يَقُولُونَ: سُبْحانَ ذِي المُلْكِ

وَالمَلَكُوتِ، سُبْحانَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الجَبَرُوتِ، سُبْحَانَ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ سُبْحانَ الَّذِي يُميت الخلائق ولا يَمُوتُ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ، قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، سُبْحانَ رَبِّنا الأَعْلَى سُبْحان ذِي الجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِياءِ والسُّلْطانِ والعَظَمَةِ سُبْحانَهُ أَبَدًا أَبَدًا، يَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ، وَهمُ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ، أَقْدَامُهُم على تُخُومِ الأَرْضِ السُّفْلَى، والسَّمَوَاتُ إلى حُجَزِهِمْ، وَالعَرْشُ عَلى مَناكِبِهِمْ، فَوَضَعَ اللهُ عَرْشَهُ حَيْثُ شَاء مِنَ الأَرْض، ثُمَّ يُنادِي بِنِدَاءٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ فَيَقُولُ يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ، إِنِّي قَدْ أَنْصَتُّ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إلى يَوْمِكُمْ هَذَا، أَسْمَعُ كَلامَكُمْ، وأُبْصِرُ أعمالَكمْ، فَأَنْصِتُوا إِلَيَّ، فإِنَّمَا هِيَ صُحُفُكُمْ وأعمالكُمْ تُقْرأُ عَلَيْكُمْ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ جَهَنَّمَ فَتُخْرِجُ مِنْها عُنُقاً ساطِعا مُظْلِما، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [يس:59-61]، فيتميزُ النَّاسُ ويَجْثُونَ، وَهِيَ التي يَقُولُ اللهُ: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية:28]، فَيَقْضِي اللهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ وَالْبَهائِمِ، فإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ لِلْجَمَّاءِ مِنْ ذَاتِ القُرُونِ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدةٍ لأُخْرَى قال اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، ثُمَّ يَقْضِي اللهُ سُبْحانَهُ بَينَ الجِنِّ والإنْسِ"، انتهى الحديث ..

نزول الرَّبِّ جلَّ جلاله

إذن فبعد أن يأذنَ اللهُ جلَّ جلالهُ ويقبلُ شفاعةَ النبيِّ ﷺ ببدء العرضِ والحسابِ وفصلِ القضاء، يأمرُ اللهُ تعالى الملائكةَ بالنزول من أرجاء السمواتِ وأقطارها إلى أرض المحشرِ، فتنشقُ السماءُ ويَسمعُ أهلُ المحشرِ لانشقاقها صوتاً عظيماً مُرعباً،

{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان: 25]، ثمَّ ينظرونَ فإذا الملائكةُ يهطلونَ من السماء بأعدادٍ هائلةٍ جداً، فيحيطون بأطراف أرضِ المحشر، فإذا رآهم النَّاسُ ندُّوا وهربوا، فلا يتوجهون إلى جهةٍ إلا وجدوا صفوفَ الملائكة أمامهم، فذلك قولُ اللهِ تعالى: {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} [غافر: 32-33] ..

فإذا تكاملَ نزولُ ملائكةِ السَّماءِ الدُّنيا، أحاطوا بأهل المحشرِ مُشكلين دائرةً هائلة، ثم تنزلُ ملائكةُ السَّماءِ الثانيةِ فيحيطونَ بمن قبلهم دائرةً كاملة، وتظلُ الملائكةُ تهبطُ أفواجاً مُتتابعة، كُلُّ ملائكةِ سماءٍ يُحيطونَ بمن قبلهم، حتى تكتملَ سبعةُ صفوفٍ، وكلما هبطَ فوجٌ من الملائكة بادرهم أهلُ المحشرِ يسألونهم: أفيكم ربنا، فيقولون لا وهو آتٍ، ثم ينزلُ الملائكةُ الكروبيون، وحملةُ العرشِ، والمقربون، ولهم زجلٌ عظيمٌ بالتَّسبيح والتَّقديسِ



والتَّعظيم، ثم يَجيءُ اللهُ جلَّ جلالهُ في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة، كما قال تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [البقرة:210]، فإذا جاءَ العظيمُ جلَّ جلالهُ أشرقت الأرضُ بنوره، ويُصعقُ أهلُ الموقفِ لجلاله وهيبتهِ، ثم يُفيقونَ وقد انخلعت القلوب، ووجلت النفوس، وشخصت الابصار، وابلسَ المجرمون، وفِي الحديث الصَّحِيحِ أنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَة الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي: أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَعْقَة يَوْمِ الطُّورِ .. يقولُ الشيخ ابن باز رحمه: وَهَذَا صَعْقٌ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَة، إِذَا جَاءَ اللَّهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، قال تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الزمر:69] ..

ويضعُ اللهُ عرشهُ حَيْثُ شَاء مِنَ الأرْض، ثم تأتي جميعُ الأممِ تِباعاً للعرض عليهِ جلَّ وعلا، حتى تأخذَ كلَّ أمةٍ موضعها الذي حُدِّدَ لها، الكلُّ سواسيةٌ لا تمايزَ بينهم، فقد ذهبت الألقابُ والمناصبُ، والأموالُ والأعوان، قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام:94]، وقال تعالى: {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف:48]، وقال جلَّ جلاله: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة:18]، وفي الحديث الصحيح، قال النبيُّ ﷺ: "إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يومُ القيامة ينزلُ إلى العباد ليقضي بينهم وكلُّ أمَّةٍ جاثية"، فالكلُّ يُعرض، والكلُّ يجثو على ركبتيه بين يدي الجبَّارِ جلَّ جلالهُ، ينتظرُ كلمةَ الحكمِ وفصلَ القضاءِ، قال تعالى: {وَلِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ * وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية:27-29] ..

هولُ العرضِ على الله تعالى

وبالرغم من شدَّة ما يُعانيهِ الكفارُ والعُصاةُ من أنواعِ العذابِ وألوانِ النَّكالِ في ذلك اليومِ الطويلِ، إلا أنَّ ذلك كلَّهُ لا يُشكلُ شيئاً أمامَ هولِ العرضِ على الجبَّارِ جلَّ جلالهُ، فمن رهبةِ الوقوفِ بين يديه يتمنى الكفارُ والعُصاةُ لو تسوَّى بهم الأرضُ ولا أن يقفوا هذا الموقفَ المخزي، تأمَّل: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء:42] ..

فيا لهُ من موقفٍ رهيبٍ عصيب، آلافُ البلايينِ من البشر والجنِّ والحيوانات، أُممٌ مُختلفةٌ، وكُلُّها على ركبها جاثيةٌ، في صفوفٍ مُنتظمةٍ، كلٌّ قد وقفَ في مكانه المحدَّدِ، في منظرٍ مهيبٍ عجيب، أجسادٌ عاريةٌ، وأعناقٌ مُشرئبةٌ، وعيونٌ شاخصةٌ، وقلوبٌ واجفةٌ، والملائكةُ الكرامُ تتحلقُ حولهم صفوفٌ طويلةٌ هائلةٌ، بعضها خلفَ بعضٍ، والكلُّ صامتٌ لا يتكلم، {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه:108]، {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ:38] .. وإذا كان الجبَّارُ جلَّ جلالهُ سيغضبُ في ذلك اليومِ العصيبِ غضباً لم يغضب مثلهُ قبلهُ ولا بعدهُ، حتى إنَّ الخليلَ إبراهيمَ ليقول: نفسي نفسي، اللهم لا اسألك اليومَ إلا نفسي، فحُقَّ لكل مؤمنٍ يرجو اللهَ واليومَ الآخر، أن يتساءل، كيفَ سيكونُ العرضُ على الله؟، وكيفَ سيحَاسبُ النَّاسُ يوم القيامة؟، من

الذي سينجو في ذلك الموقفِ الرهيبِ العصيبِ؟، وما هي أسبابُ النَّجاةِ؟، ومن الذي سيهلكُ عياذاً بالله؟ .. فهذا هو أهمُّ وأوجبُ ما ينبغي معرفتهُ والعملَ من أجله، فالحقُّ جلَّ وعلا يقول: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء:101-102] ..

تقريبُ الجنَّةِ والنَّار

وإنَّ مما يزيدُ الهولَ شِدةً وكرباً، أنهُ خِلالَ هذا العرضِ المهيبِ، يأمرُ اللهُ جلَّ جلاله بالنَّار فتسعَّرُ، وتُبرزُ وتُقرَّبُ من الكفَّار، ويأمرُ اللهُ بالجنَّة فتقرَّبُ لأهلها، قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ} [الشعراء:88-91]، وقال تعالى:



{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر:22-23]، وقال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} [الملك:27]، وفي صحيح مسلم، قال ﷺ: "يُؤْتَى بجهَنَّمَ يومَئذٍ لها سَبْعُونَ أَلْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها"، وقال جلَّ وعلا: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان:12]، فالنَّارُ تتغيظُ وتزفُرُ وتَشهَقُ على الكفَّار بأصواتٍ مُرعبةٍ، ومنظرٍ مُفزع، فيدخلُ عليهم من الرُّعب والهلعِ ما لا يوصف، ويخرجُ عنقٌ طويلٌ هائلٌ من النَّار، كما جاء في حديثٍ صحيح، قال ﷺ: "يَخرجُ عُنقٌ من النَّارِ يومَ القِيامةِ له عينانِ تُبصِرانِ، وأُذُنانِ تَسْمَعانِ، ولِسانٌ يَنطِقُ، يقولُ: إنِّي وُكِلْتُ بثلاثةٍ: بمن جعلَ مع اللهِ إلهًا آخرَ، وبكلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، وبالمصوِّرينَ"، وفي روايةٍ صحيحة: "فتنطلقُ بهم قبل سائرِ النَّاسِ بخمسمائةِ عامٍ" ..

وهذا العرضُ كما يشملُ العرضَ العامَّ للأمم والأفرادِ على الله تعالى، فإنه يشملُ العرضَ الخاصَّ للأعمال والكتبِ على العباد، قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 6-8]، وفي الصحيحين، قال ﷺ: "ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانٌ، فينظرُ أيْمنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيِّبةٍ"، وقَالَ أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وتهيئوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ على الله: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: 18] ..

الفصلُ الحادي عشر: الجدالُ والتَّخاصُمُ بين الغرماء

بعد مرحلةِ العرضِ العامِّ، تبدأُ مرحلةُ الجدالِ والتَّخاصُم بين الغرماء، ففي صحيح البخاري: قال ﷺ: "أَوَّلُ مَن يُدْعَى يَومَ القِيامَةِ آدَمُ، فَتَراءَى ذُرِّيَّتُهُ، فيُقالُ: هذا أبُوكُمْ آدَمُ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: أخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِن ذُرِّيَّتِكَ، فيَقولُ: يا رَبِّ، كَمْ أُخْرِجُ؟ فيَقولُ: أخْرِجْ مِن كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وتِسْعِينَ"، وفي حديثٍ قدسيٍ متفقٍ على صحته، "يقولُ اللَّهُ تَعالَى: يا آدَمُ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ في يَدَيْكَ، فيَقولُ: أخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قالَ: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قالَ: مِن كُلِّ ألْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وتَرَى النَّاسَ سُكارَى وما هُمْ بسُكارَى، ولَكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وأَيُّنا ذلكَ الواحِدُ؟ قالَ: أبْشِرُوا؛ فإنَّ مِنكُم رَجُلًا، ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألْفًا .. ثُمَّ قالَ:

والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنا، فقالَ: أَرْجُو أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنا، فقالَ: أَرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنا، فقالَ: ما أنتُمْ في النَّاسِ إلَّا كالشَّعَرَةِ السَّوْداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبْيَضَ. أوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أسْوَدَ" .. ولاختلاف النِّسبةِ بين الحديثين، قال العلماءُ أنَّ الحديثَ الثاني يشملُ جميعَ الأممِ بمن فيهم يأجوجُ ومأجوج، أما الحديثُ الأولُ فمن دونِ يأجوجَ ومأجوج .. واللهُ أعلمُ بالصَّواب ..

سؤالُ اللهِ تعالى للأنبياء والأمم

ثمَّ ينادي اللهُ جلَّ جلالهُ الأنبياءَ والرَّسل، فيدعوهم جميعاً للمثول بين يديهِ تبارك وتعالى، ليسألهم على مرأىً ومسمعٍ من أقوامهم، قال تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة:109]،

وهذا السؤالُ العظيمُ تحقيقاً للقسم الذي أقسمهُ اللهُ في كتابه: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر: 92-93]، وقال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف:6]، فيسألهم جلَّ وعلا سؤالاً عاماً: {مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة :109]، وقولُ الرُّسلِ لا علمَ لنا، ليس جهلاً منهم بالإجابة، وإنما لهول الموقفِ وتأدباً مع اللهِ تعالى فهو علَّامُ الغيوب ..

ثُمَّ ينادي اللهُ الأممَ جميعاً بنداءٍ يسمعهُ من بَعُدَ كمن قرُب، فيسألهم نفسَ السؤال، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} [القصص:65-66]، فلهول الموقفِ ورهبتهِ تضيعُ الإجابةُ من الجميع، ولذا قالَ اللهُ تعالى بعدها: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} [القصص:67]، فيا لهُ من موقفٍ ما أكربه، وهولٍ ما أصعبه،



{يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر:16-17] .. {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [إبراهيم: 48-52] ..

محكمةُ العدلِ الإلهي (لا ظلمَ اليوم)

فمن عدل اللهِ المطلق، وحكمتهِ المتناهية، أنه سيوضحُ الحقَّ عند جدالِ المتخاصِمين بين يديه، وسيقيمُ الحجَّةَ على كُل مُنكرٍ ومُكذبٍ، وسيكونُ جلَّ جلالهُ بنفسه حكماً وشاهداً، وكفى

بالله شهيداً، فهو أحكمُ الحاكمين، وهو العليمُ الخبير، ومع ذلك فإنَّ الله تعالى سيجعلُ الشهودَ كثيرينَ ومتنوعين، قطعاً لأي عذرٍ، وافحاماً لأي مُنكرٍ، فالملائكةُ الكرامُ تشهد، والأنبياءُ والرُّسلُ يشهدون، والصُّحفُ تشهد، والأممُ والأفرادُ يشهدون على بعضهم، والأعضاءُ تشهد، والجلودُ تشهد، والمكانُ يشهد، والزمانُ يشهد، وقد تكرَّرَ في القرآن الكريم قولهُ تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} [العنكبوت: 52]، وقال تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية:29]، وقال جلّ وعلا: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الزمر:69]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ} [النحل:89]، وقال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا *

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة:1-4]، وفي البخاري، قال ﷺ: "يُدْعَى نُوحٌ يومَ القِيامَةِ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فيَقولُ: هلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقولُ: نَعَمْ، فيُقالُ لِأُمَّتِهِ: هلْ بَلَّغَكُمْ؟ فيَقولونَ: ما أتانا مِن نَذِيرٍ، فيَقولُ: مَن يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أنَّه قدْ بَلَّغَ: {وَيكونَ الرَّسُولُ علَيْكُم شَهِيدًا}، فَذلكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وسَطًا لِتَكُونُوا شُهَداءَ علَى النَّاسِ ويَكونَ الرَّسُولُ علَيْكُم شَهِيدًا} [البقرة:143]، وفي حديثٍ صحيحٍ أعمُّ من الحديث السَّابق، قال ﷺ: "يَجِيءُ النبيُّ يومَ القيامةِ ومعه الرجلُ، والنبيُّ ومعه الرجلانِ، والنبيُّ ومعه الثلاثةُ، وأكثرُ من ذلك، فيُقالُ له: هل بَلَّغْتَ قومَك؟ فيقولُ: نعم، فيُدْعَى قومُه، فيُقالُ لهم: هل بَلَّغَكم هذا؟ فيقولونَ: لا، فيُقالُ له: مَن يَشْهَدُ لك؟ فيقولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فيُدْعَى مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ فيُقالُ لهم: هل بَلَّغَ هذا قومَه؟ فيقولونَ: نعم، فيُقالُ: وما

عِلْمُكُم بذلك؟ فيقولونَ: جاءنا نبيُّنا فأَخْبَرَنا أنَّ الرُّسُلَ قد بَلَّغُوا فصَدَّقْناه، فذلك قولُه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة:143]، يقولُ الشيخُ ابن بازٍ رحمه الله: وهذا من باب قطعِ حُجَّةِ الخصمِ وبيانِ بُطلانِ إنكارهِ على رؤوس الأشهاد؛ حيث قالوا كما حكى القرآنُ عنهم: {مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ} [المائدة: 19]، فيدعى محمدٌ وأمتهُ فيشهدونَ أنَّ الرُّسلَ قد بلغوا، وإنما شهدوا لأن القرآنَ جاء بذلك، فيشهدون للرُّسل جميعاً، عليهم جميعاً أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام ..

براءةُ الخصومِ بعضهم من بعض

ويشتدُّ جِدالُ المتخاصِمين بين يدي الحكمِ العدلِ جلَّ وعلا، كُلٌّ يتبرأُ من الآخر ويشهدُ ضِدهُ، فالاتباعُ يتبرأونَ من أتباعهم، والطواغيتُ يتبرأونَ ممن كان يعبُدهم، قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ



اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:166-167]، وقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: 30-31]، وقال جلَّ وعلا: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم:21]، وقال جلَّ وعلا: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} [يونس:28-29]، وتُسئلُ الطواغيتُ التي عُبدت من دون اللهِ فيتبرؤون: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} [الفرقان:17-18]، حتى عيسى عليه السَّلامُ يُسئلُ ويتبرأ: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 116-117]، حتى الملائكةُ الكرامُ يُسألونَ فيتبرؤون: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}

[سبأ:40-41]، حتى ابليسُ اللعين يتبرأ، {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم:22] ..

ويقتصُ اللهُ جلَّ جلالهُ للعباد بعضِهم من بعضٍ حتَّى لا يبقى لأحدٍ مَظلمةٌ عند أحدٍ، ففي الحديث الصحيح: (من كانت عندَهُ مظلِمةٌ لأخيهِ في دمٍ أو مالٍ، فليتحلَّلْها منه قبلِ أن يأتيَ يومٌ ليسَ فيهِ درْهمٌ ولا دينارٌ، إلا الحسناتِ والسيِّئاتِ فإن كانت لَهُ حسناتٌ أُخِذَ من حسناتِهِ بقدرِ مظلِمتهِ، وإلَّا أُخذَ من سيِّئاتِ صاحبِهِ فطُرِحت عليهِ ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ)، وفي صحيح مسلم: (لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يومَ القِيامَةِ، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشّاةِ القَرْناءِ) ..

الفصلُ الثاني عشر: الحسابُ الفردي

إذا انتهت مرحلةُ الجدالِ والتَّخاصُم بين الغرماء، وتناصفَ الخلقُ بعضهم من بعضهم، وأُرجِعت الحقوقُ لأهلها، جاءت مرحلةُ الحسابِ الفردي، وما أدراك ما الحسابُ الفردي، حيثُ يقفُ كُلُّ عبدٍ بين يديّ ربهِ جلَّ وعلا وحيداً مُنفرداً، فيحاسبهُ على إيمانه وطاعاته، وفرائضهِ وعباداته، وسائرِ أعمالهِ وأقوالهِ خيرها وشرها، ففي الحديث الصحيح: (ما مِنكُم أحَدٌ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ مِن عَمَلِهِ، ويَنْظُرُ أشْأَمَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ بيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ) .. وما أكثرُ الآياتِ والأحاديثِ التي تبينُ أنَّ الانسانَ سيُسألُ عن كُلِّ ما كُلِفَ به من واجباتٍ وعبادات، وعن جميعِ ما استرعاهُ اللهُ من رعيهٍ وأمانات، فيُسألُ الانسانُ عن دينه وإيمانه،

قال تعالى: {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ} [الشعراء:92-93]، ويُسألُ عن صدقه وكذبه، قال تعالى: {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [العنكبوت:13]، ويُسألُ عن رعيته وأهلِ بيته، كما في الحديث الصحيح: (إنَّ اللهَ سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعاهُ، حفِظَ أم ضيَّعَ، حتَّى يَسألَ الرَّجلَ عن أهلِ بيتِهِ)، وفي صحيح البخاري: قال ﷺ: (أَلا كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ)، ويُسألُ الانسانُ عن جوارحه، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:36]، ويُسألُ عن عُمره وعن عِلمه وعن مالِه وعن بدنه، ففي الحديث المشهور: (لا تَزُولُ قَدَمَا عبدٍ حتى يُسْأَلَ أربع: عن عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاه، وعن علمِه ما فعل فيه، وعن مالِه مِن أين اكتسبه وفِيمَ أَنْفَقَهُ، وعن جِسْمِه فِيمَ أَبْلَاه)، ويُسألُ عن النَّعيم وعمَّا أُعطي من الدُّنيا، قال تعالى: {ثُمَّ

لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر:8]، وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: (إنَّ أوَّلَ ما يُسأَلُ عنهُ العبدُ يومَ القيامةِ من النَّعيمِ أنْ يُقالَ لهُ: ألمْ نُصِحَّ لكَ جِسمَكَ، ونُرْوِيكَ من الماءِ البارِدِ)، ويُسألُ كذلك عن عُهوده ومواثقه، قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء:34] .. فموقفُ الحسابِ بين يدي اللهِ جلَّ جلالهُ موقفٌ رهيبٌ عصيبٌ، جليلٌ مهيبٌ، فلا حِيلةَ تُغني، ولا عُذرَ يُقبل، ولا شفيعَ ينفع، ولا مالَ يفدي، ولا سُلطانَ ينصُر، {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء:88-89]، وقال تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر:18]، وقال سبحانه: {يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [الطور:46] .. وقال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر:52] ..

وإذا كنا نتعجبُ من حواسيب الدُّنيا العملاقة، وكيف يمكنُ لها أن تُجري ملياراتِ العملياتِ في الثانية الواحدة، فكيفَ بأسرع الحاسبينَ سبحانهُ وتعالى، إنها بحقٍّ لفتةٌ قرآنيةٌ مُعجزة، تأمَّل: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام:62]، وقال جلَّ وعلا: {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرعد:41]، وقال تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر:17]..

توزيعُ كتبِ الأعمالِ ودقتها

ثمَّ إنَّ من عدل اللهِ جلَّ وعلا أن يُعطيَ كُلَّ عبدٍ كتابَ أعماله، فيرى فيه كلَّ ما عمِلهُ بمنتهي الدقة، {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف:49]، وجاءت الآياتُ صريحةً واضحة، أنَّ الانسانَ سيقرأُ كتابَ أعمالهِ قبل أن يُحاسب، ليعلمَ أنَّ اللهَ لم يظلِمه، {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49]، وليرى أنَّ كلَّ ما سُجِلَ عليهِ حقٌّ وعدل، بلا زيادةٍ ولا نقصان، قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء:13-14]، حتى أنَّهم يتفاجؤن ويتعجبون من دقة ما يقرأون، {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف:49]، وقال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: 6]، وقال جلّ وعلا: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية:29] ..

تجسيدُ الأعمالِ الصَّالحةِ والسَّيئة:

إنَّ من المشاهد العجيبةِ عند الحساب، رؤيةُ جزاءِ بعضِ الأعمالِ الصالحةِ أو السيئةِ مُجسَّدٌ بصورةٍ حسيةٍ يمكنُ رؤيتها رأيَّ العين، قال الأمامُ الطيبي: "والحقُّ عند أهل السُّنةِ أنَّ الأعمالَ حينئذٍ تُجسد، أو تُجعلُ في أجسامٍ فتصيرُ أعمالُ الطائعينَ في صورةٍ حسنةٍ، وأعمالُ المسيئينَ في صورةٍ قبيحةٍ، ثم توزن". [فتح الباري:539/13]، وفي حديث البراء بن عازب المشهور: أنَّ العبدَ المؤمن يأتيه آتٍ (في قبره) حسنُ الوجهِ، طيبُ الريحِ، حسنُ الثيابِ، يقول أنا عملك الصالح، وأنَّ العبدَ الكافر أو الفاجر يأتيهِ آتٍ قبيحُ الوجهِ، منتنُ الريحِ، قبيحُ الثيابِ، فيقول: أنا عملك السيئُ ..

فمن أمثلةِ تجسيدِ الأعمالِ السيئة، ما جاء في الحديث الصحيح، قال ﷺ: (ما مِن أحدٍ لا يؤدِّي زَكاةَ مالِهِ إلَّا مُثِّلَ لَه

يومَ القيامَةِ شُجاعًا أقرعَ حتَّى يطوِّقَ عنقَهُ)، ثمَّ قرأَ ﷺ قولهُ تعالى: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 180]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: 34-35]، و{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} [البقرة:275]، و(ما مِن صَاحِبِ إبِلٍ، وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إلَّا جَاءَتْ يومَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ ما كَانَتْ، وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بأَظْلَافِهَا)، وجاء في حديثٍ صحيحٍ: (يُرفَعُ لِكُلِّ غادرٍ لواءٌ بِقَدرِ غدرتِهِ يومَ القيامةِ ألا ولا غدرَ أَكْبرُ مِن غدرِ أميرِ عامَّةٍ)، وفي روايةٍ صحيحةٍ: يقالُ: (هذِه غَدْرَةُ فُلانِ بنِ فُلانٍ)، وفي محكم التنزيل: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: 161]، فكلُّ من سرقَ أو اختلسَ من أموال المسلمينَ العامَّة، سيأتي يومَ القيامةِ وهو يحملهُ على رقبته، قال تعالى: {وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [الأنعام:31]، وفي الحديث الصحيح: (لا ألفيَنَّ أحدَكم يجيءُ يومَ القيامةِ على رقبتِهِ بعيرٌ له رُغاءٌ أو بقرةٌ لها خوارٌ أو شاةٌ لها ثُغاءٌ)، ومن الصُّورِ العجيبةِ يومَ القيامة، أن يُرى بعضُ النَّاسِ وله وجهان، ففي الحديث الصحيح: (إنَّ من شرِّ النَّاسِ عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ ذا الوجْهينِ)، وفي صحيح البخاري: (مَن أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شيئًا بغيرِ حَقِّهِ خُسِفَ به يَومَ القِيَامَةِ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ)، و(من سألَ ولَهُ ما يُغنيهِ جاءت مسألتُهُ يومَ القيامةِ خُدوشًا أو خُموشًا أو كُدوحًا في وجْهِه)، و(مَن تَحَلَّمَ بحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، ولَنْ يَفْعَلَ، ومَنِ اسْتَمع إلى حَديثِ قَوْمٍ وهُمْ له كارِهُونَ، أوْ يَفِرُّونَ منه؛ صُبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ يومَ القِيامَةِ)، و(مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ

جاء يومَ القِيامَةَ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ من نارٍ، ومَنْ قال في القرآنِ بغيرِ عِلْمٍ جاء يومَ القيامةِ مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ من نارٍ)، و"مَن كانَت لَهُ امرأتانِ فمالَ إلى إحداهما جاءَ يومَ القيامةِ وشِقُّهُ مائِلٌ" .. وغيرها من الأعمالِ السَّيئةِ التي سيظهرُ لها جزاءٌ مُجسدٌ يومَ القيامة ..

وفي المقابل: فبعضُ الأعمالِ الصَّالحةِ تُجسدُ تجسيداً جميلاً، والأمثلةُ على ذلك أيضاً كثيرة، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: (إنَّ أمَّتي يأتونَ يومَ القيامةِ غرًا مُحجلينَ من آثارِ الوضوءِ)، و(إنَّ المتحابّينَ في اللهِ على منابرَ من نورٍ يومَ القيامةِ)، و(للشَّهيدِ عِندَ اللَّهِ ستُّ خصالٍ) ذكر منها: (ويُوضعُ علَى رأسِه تاجُ الوقارِ، ويُشفَّعُ في سبعينَ مِن أقاربِه)، و(لا يُكْلَمُ أحَدٌ في سَبيلِ اللهِ، إلَّا جاءَ يَومَ القِيامَةِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ)، و(الصِّيامُ والقرآنُ يشفَعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ)، و(طوبى لِمن وجدَ في صَحيفتِهِ استغفارًا كثيرًا)، و(مَن شابَ



شيبةً في الإسلامِ كانتْ له نورًا يومَ القيامةِ)، و(الْمُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقًا يَومَ القِيَامَةِ)، و(إنَّ المقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ)، وكلها أحاديث صحيحة ..

أصنافُ النَّاسِ عند الحساب

يقول الحقُّ جلَّ وعلا: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:4-10]، فالنَّاسُ في الحساب اصنافٌ شتَّى، فهناك من يدخُلُ الجنَّةَ بلا حسابٍ ولا عذاب، كما جاء في الحديث الصحيح: "وعدَني ربِّي أن يُدْخِلَ الجنَّةَ مِن أمَّتي سبعينَ ألفًا لا حسابَ علَيهِم ولا عذابَ، معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وثلاثُ حثَياتٍ مِن حثَياتِه"، وفي الحديث الصحيح: (ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَومَ القِيامَةِ إلَّا هَلَكَ)، فقُالتُ عائشة رضي الله عنها: يا رَسولَ اللَّهِ، أليسَ قدْ

قالَ اللَّهُ تَعالَى: {فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8]، فقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: (إنَّما ذَلِكِ العَرْضُ، وليسَ أحَدٌ يُناقَشُ الحِسابَ يَومَ القِيامَةِ إلَّا عُذِّبَ)، وأهل الحسابِ اليسيرِ كما جاء في الآية الكريمة: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم:32]، وكما جاء في الحديث الصحيح: (يَدْنُو أحَدُكُمْ مِن رَبِّهِ حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عليه، فيَقولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ، ويقولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا، فيَقولُ: نَعَمْ، فيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يقولُ: إنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ في الدُّنْيا، فأنَا أغْفِرُها لكَ اليَومَ)، وهناك من يُعاتبُ عتاباً يسيراً، كما جاء في الحديث الصحيح: (إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ،

اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أمَا إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي) ..

وأمَّا أهل الحسابِ العسيرِ فهم أهلُ الرياءِ والمصرونَ على الكبائر، وهؤلاءِ يُشدَّدُ عليهم، ففي الحديث الصحيح: (إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لأَنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ

وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ وسَّعَ اللَّهُ عليه، وأَعْطاهُ مِن أصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ) ..

واختلف العلماءُ في حساب الكفَّارِ، فقال بعضُ العلماءِ أنهُ لا حسابَ لهم ولا وزن، وحتى لو وجدَ لهم أعمالٌ صالحةٌ فهي حابطةٌ لا وزنَ لها ولا قيمة، بسبب كفرهم، كما قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:105]، وقال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}



[الفرقان: 23]، والراجحُ أنهم يحاسبونَ وتوزنُ أعمالهم، لعموم قولهِ تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:47]، وقال تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: 103]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور:39]، وكما أنَّ الكفَّار يتفاوتونَ في كفرهم وإجرامهم، فإنهم يتفاوتون في الجزاء وفي دركات النَّار، ولذا قال الله تعالى عن المنافقين: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء:145]، وقال عن أعداء الدين: {الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ}، وقال عن العتاة: {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ

لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا} [مريم:69-70]، فتفاوت عذابِ الكفَّارِ ودركاتهم ناتجٌ (والعلمُ عند الله) عن تفاوتِ حسابهم ووزنهم .. كما أنَّ في حسابهم، إقامةٌ للحجةُ عليهم، وإظهارٌ لعدلِ اللهِ تعالى فيهم، وفيه أيضاً مزيدُ توبيخٍ وإذلالٍ وتقريعٍ لهم ..

والجنُّ أيضاً يحاسبونَ لأنهم في الأصل مكلفون، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56]، وقال جلَّ وعلا: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام:130]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ} [الأعراف:١٧٩]، ولعموم قوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن:٤٦] ..

الفصلُ الثَّالثَ عشر: الميزانُ واستلامُ الصُّحف

كلُّ ما مرَّ معنا من صور المحاسبةِ السَّابقةِ وأمثالها إنما تكونُ قبلَ ظهورِ النتائجِ النهائيةِ، أمَّا النتيجةُ النِّهائيةُ فتظهرُ عند الميزانِ، وما أدراكَ ما الميزان، موطنٌ من المواطن الرهيبةِ العصيبة، التي ينسى العبدُ فيها أهلهُ وأحبابهُ، وينشغلُ فيها بنفسه فقط، حتى يرى هل يثقلُ ميزانهُ أم يخف، وهل يستلِمُ صحيفتهُ بيمينه أم بشماله، فما ظنكَ بموقفٍ ينتظرُ فيه العبدُ نتيجةً ستكونُ سبباً في أن يؤخذَ إلى الجنَّة أو إلى النَّار (اللهم لطفك بنا) .. إنه موقفُ ترقبٍ وتلهُفٍ، إنها اللحظةُ التي سيعلمُ الكفَّارُ والفُجَّارُ فيها أيَّ منقلبٍ ينقلبون، وأيَّ سوءَ مصيرٍ سيلاقون، وفي المقابل فسيعلمُ فيها المؤمنونَ أيَّ كرامةٍ ورفعةٍ وفضلٍ سينالون، فلقد كانَ الكفَّارُ في الدُّنيا يمرحونَ ويلعبون، ويستهزؤون بالمؤمنين ويضحكون، أمَّا اليوم: فالمؤمنونَ هم الفائزون، وهم

الذين يضحكون، قال جلَّ وعلا: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين:34-36] ..

وذكرنا في فصلٍ سابقٍ أنَّ أمَّةَ محمدٍ ﷺ هي أولُ الأممِ حِساباً، ثمَّ المؤمنونَ من باقي الأمم، ثم يكونُ حِسابُ المشركين والكفَّار، وذكرنا أنَّ حسابَ المؤمنين سيكونُ بفضل اللهِ حساباً يسيراً، وأمَّا حسابُ الكفَّار والفجَّارِ فسيكونُ حسابهم حساباً عسيراً، وكلُّ ذلك توبيخاً لهم وزيادةً في إذلالهم وهوانهم، وإظهاراً لعدل اللهِ المطلق، وإقامةً للحجة عليهم، وفي صحيح مُسلم: قال أنسٌ رضي الله عنه: كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقالَ: هلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: مِن مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ؛ يقولُ: يا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قالَ: يقولُ: بَلَى، قالَ: فيَقولُ: فإنِّي لا أُجِيزُ علَى نَفْسِي إلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قالَ: فيَقولُ: كَفَى بنَفْسِكَ اليومَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُودًا،

قالَ: فيُخْتَمُ علَى فِيهِ، فيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قالَ: فَتَنْطِقُ بأَعْمَالِهِ، قالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بيْنَهُ وبيْنَ الكَلَامِ، قالَ: فيَقولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ" ..

الكلُّ سيوزن

وهذا من عدل اللهِ المطلق، وحكمتهِ البالغة، فقد وعدَّ عبادهُ جميعاً، أنهُ سيزنُ أعمالهم بكلِّ دقةٍ، فقال جلَّ وعلا: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47]، وقال تبارك وتعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} [الأعراف:8-9]، فكلُّ انسانٍ ستوزنُ أعماله، وذلك بعدَ أن ينتهي اللهُ تعالى من حساب الخلائقِ أجمعين، وبعد أن يأخذَ كلَّ ذي حقٍّ حقهُ،

وبعد أن يدفعَ كُلُّ ظالمٍ ما عليهِ من الحقوق، ويأخذَ كلَّ مظلومٍ كاملَ حقهِ ممن ظلموه، ففي الحديث الصحيح: (من كانت عندَهُ مظلِمةٌ لأخيهِ في دمٍ أو مالٍ، فليتحلَّلْها منه قبلِ أن يأتي يوم ليسَ فيهِ درْهمٌ ولا دينارٌ، إلا الحسناتِ والسيِّئاتِ فإن كانت لَهُ حسناتٌ أُخِذَ من حسناتِهِ بقدرِ مظلِمتهِ، وإلَّا أُخذَ من سيِّئاتِ صاحبِهِ فطُرِحت عليهِ ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ) .. فكم ستعتصرُ الحسرةُ والنَّدامةُ قلوبَ الظالمين، حين يرونَ عدلَ اللهِ ودِقةَ حِسابه، تأمَّل: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة:6]، نسوهُ لغفلتهم وعدمِ مُبالاتهم، نسوهُ لاستكبارهم وطُغيانهم، نسوهُ لسوءِ ظنهم بربهم، قال تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: 22-23]، وقال

تعالى: {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] ..

صفةُ الميزان

ولقد دلت النَّصوصُ المتواترة، أنَّ الميزانَ مِيزانٌ حقيقيٌ لا يَقدِّرُ قدَرهُ ولا يعلَمُ حجمهُ إلا اللهُ جلَّ في علاه، ففي الحديث الصحيح: "يُوضَعُ الميزانُ يومَ القيامةِ، فلو وُزِنَ فيه السمواتُ والأرضُ لوَسِعَت، فتقول الملائكةُ: يا ربِّ لمن يَزِنُ هذا؟ فيقولُ اللهُ تعالى: لمن شئتُ مِن خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدْناك حقَّ عبادَتِك" ..

وأهلُ السُّنةِ يؤمنونَ بأنَّ الميزانَ ميزانٌ حقيقيٌ له لِسانٌ وكفَّتان، تُوزنُ به أعمالُ العبادِ يومَ القيامة، جاء في الصحيحين قال ﷺ: "كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ"،

وقال ﷺ عن ساقَي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "لَهُمَا أَثْقَلُ في الميزانِ من جَبَلِ أُحُدٍ" ..

كثرةُ الموازينِ وتنوعها:

والمتأمِّلُ في قضية الوزنِ، يلحظُ أنَّ الآياتِ الكريمةِ تُشيرُ بوضوحٍ إلى أنَّ هناكَ موازينَ كثيرةً ومُتنوعة، قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء:47]، وقال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة:1-11]، وقال تبارك وتعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} [الأعراف:8-9] .. فالراجحُ أنهُ ليس مِيزانٌ واحدٌ، بل هي أعدادٌ هائلةٌ من الموازين، وكما أنَّ

موازينَ الدُّنيا مختلفةٌ، فلا يبعدُ أن تكونَ موازينُ الآخرةِ كذلك، فالأعمالُ توزن، والأشخاصُ توزن، والأقوالُ توزن، وحتى الاشارةُ والابتسامةُ والنِّيةُ توزن، قال ابن عطية: "وعلى هذا فلا يبعدُ أن يكونَ لأفعال القلوبِ مِيزانٌ، ولأفعال الجوارحِ مِيزانٌ، ولما يتعلقُ بالقول مِيزانٌ"، بل وهناك من يقول: أنَّ لكلِّ إنسانٍ موازينهُ الخاصةِ به، فمثلاً صدَقةُ الفقيرِ تختلفُ عن صدَقة الغني، جاء في الحديث الصحيح: "سبقَ درهمٌ مائة ألف"، قالوا: يا رسول الله، كيف يسبقُ درهمٌ مائةَ ألف؟ قال: "رجلٌ كان له درهمان، فأخذَ أحدهما فتصدق به، وآخرُ له مالٌ كثير، فأخذَ من عرضها مائة ألف"، وهكذا فعِفَّةُ الشابِ عن الحرام تختلفُ عن عِفة الشيخِ الكبير؛ وعِفةُ المغتربِ تختلفُ عن عِفةِ المستوطنِ، وزنا الكبيرِ والجارِ يختلفان عن زنا غيرهما، وكذلك فالطَّاعةُ والمعصيةُ في مكة وفي رمضان ليست كغيرها، والمستخفي بالمعصية أو الطَّاعةِ ليس كالمظهر لها .. فهي إذن

موازينُ كثيرةٌ ومتنوعةٌ، بحسب الأشخاصِ، وبحسب الإخلاص، وبحسب الزمانِ والمكان، وبحسب الأحوال ..

أنواعُ الأشياءِ التي توزنُ

الأشاءُ التي توزنُ في الميزان أنواعٌ كثيرةٌ، فالأعمالُ الصَّالحةُ وغير الصَّالحةِ توزن، والعبادُ أنفُسهم يوزنون، فيثقلونَ ويَخِفُّون بحسب إيمانهم، ففي صحيح مُسلم: "إنَّه لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَومَ القِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَؤُوا: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:105]"، والسِّجلاتُ توزنُ أيضاً، كما جاء في حديث البطاقةِ وفيه: "فتوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتِ السِّجِلَّاتُ، وثقُلَتِ البطاقةُ، فلا يَثقُلُ مع اسمِ اللهِ شيءٌ"، وفي حديثٍ حسَّنهُ الامامُ العِراقي: "أنَّ عائشةَ رضي الله عنها ذكرَتْ النَّارَ فبكَتْ فقالَ ﷺ: ما يُبكيكِ يا عائشةُ؟ قالت: ذكرتُ النَّارَ هلْ تذكرونَ أهليكُم يومَ

القيامةِ؟ قالَ ﷺ: "والَّذي نفسي بيدِهِ في ثلاثِ مَواطنَ فإنَّ أحدًا لا يذكرُ إلَّا نفسَهُ، إذا وُضِعَت الموازينُ ووُزِنَت الأعمالُ حتَّى ينظرَ ابنُ آدمَ أيخِفُّ ميزانُهُ أم يثقُلُ، وعندَ الصُحفِ حتَّى ينظرَ أبيمينِهِ يأخذُ كتابَهُ أمْ بشمالِهِ، وعندَ الصِّراطِ" ..

الأعمالُ التي يثقلُ بها الميزان

من فضلِ اللهِ تعالى وكرمِهِ أنه شرعَ لنا أعمالاً صالحةً كثيرة، يثقلُ بها ميزانُ المسلمِ يومَ القيامة، ولذا فينبغي على العبد المسلمِ أن يحرصَ على أن يكونَ ميزانُهُ ثقيلاً؛ فقد كان من دعاء النبيِّ ﷺ إذا أخذَ مضجعهُ من الليل: "بِسمِ اللهِ وضَعتُ جَنبي، اللَّهمَّ اغفِر لي ذَنبي، واخسأْ شَيطاني، وفُكَّ رهاني، وثَقِّلْ ميزاني، واجعَلني في النَّدِيِّ الأعلَى"، صححهُ الألباني، والنَّدِيِّ الأعلَى يعني: الملأ الأعلى .. ومن الأعمال الصَّالحةِ التي يثقلُ بها الميزان، ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال:



"كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ"، رواه البخاري، وعن أبي مالك الأشعري، قال رسولُ اللهِ ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلأُ ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ"، والحديث رواه مُسلمٍ، وفي الحديث الصحيح: قال ﷺ: "ما مِن شَيءٍ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من حُسنِ الخُلُقِ"، وفي رواية صحيحةٍ: "أثقلُ شيءٍ في الميزانِ، الخُلُقُ الحسَنُ"، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "بَخٍ بَخٍ ما أثقَلَهنَّ في الميزانِ: لا إلَه إلَّا اللَّهُ، وسُبحانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، واللَّهُ أَكبرُ، والولدُ الصَّالِحُ يُتوفَّى للمرءِ فيحتسبُهُ"، صححهُ الألباني، وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "وآمركما بلا إلهَ إلا اللهُ فإنَّ السمواتِ والأرضِ وما فيهما لو وُضعت في كفَّةِ الميزانِ ووُضعت لا إلهَ إلا اللهُ في الكفَّةِ الأخرى كانت أرجحَ"، ومن الأعمال الثقيلةِ في الميزان اتِّباعُ الجنائز،

قال ﷺ: "من تبعَ جنازةً حتى يُصلى عليها ويُفرغَ منها، فلهُ قيراطان، ومن تبعها حتى يُصلى عليها فله قيراط، والذي نفسُ محمدٍ بيده لهو أثقلُ في ميزانهِ من أُحد"، صححهُ الألباني ..

اللهم فثبتنا على الحقِّ والهدى، وأعنا على ما تحبُّ وترضى ..



الفصلُ الرابعُ عشر: العبورُ على الصِّراط والشَّفاعات

خُلاصةُ ما مضى: أنه بعدَ العرضِ العامِّ على الله تعالى، يتمُّ استلامُ كُتبِ الأعمالِ وقراءتها، ثمَّ جِدالُ الأممِ والأفرادِ وتخاصُمِهم وردِّ الحقوقِ لأهلها، ثمَّ الحسابُ الفردي، ثمَّ وزنُ الأعمال وما تبقى من الحسنات والسيئات، فتوضعُ الحسناتُ في كفةٍ والسيئاتُ في كفة، فمن رجَحت حسناتهُ أخذَ صحيفتهُ بيمينه ونجا، ومن رجحت سيئاتهُ أخذَ صحيفتهُ بشماله وهم عصاةُ الموحدين، وسنعرفُ بقيةَ خبرهم في الفصل القادم .. أمَّا من تساوت حسناتهُ مع سيئاتِهِ فهم أصحابُ الأعرافِ، والعُرفُ هو ما علا من الشيء كعُرف الديك، والأعرافُ سُورٌ عالٍ يحيطُ بمن بدَاخِله، فيطلّعونَ من فوقه على ما في الخارج، كما قال اللهُ تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ



يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف:46-47]، فالأعرافُ منطقةٌ محجوبةٌ بسورٍ عالٍ بين الجنَّة والنَّار، يُحبسُ فيها أقوامٌ تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فيطَّلعون على أهل الموقفِ من فوق السورِ، فيعرفونَ أهل الجنَّةِ ببياض وجهوهم، فينادونهم يسلمونَ عليهم، ويعرفونَ أهل النَّارِ بسواد وجوههم، فإذا نظروا إليهم سألوا اللهَ أن لا يجعلهم معهم، ويبقونَ مترقبينَ على هذه الحال، إلى أن يَدخُلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّة، ويدخُلَ أهلُ النَّارِ النَّار، ثمَّ يحكمُ الله فيهم بما شاء، والأقربُ إنهم يدخلونَ الجنَّةَ بفضل اللهِ وبرحمته ..

طريقةُ دخولِ الكفَّارِ إلى النَّار

تأمَّل ما يقولهُ اللهُ تعالى عن الكفَّار عندما يُسَاقونَ إلى النَّار: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ

بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: 27]، أمَّا طريقةُ دُخولهم إلى النَّار فمروعةٌ مُرعِبة، فبدايةً يُسحبونَ على وجوههم سحباً، ثم يُلقَونَ في جهنم رمياً، يقول جلَّ وعلا: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: 97]، ويقول تعالى: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ} [الملك: 6-7]، ويقول جلَّ وعلا: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} [الشعراء:94-95]، وفي الصحيحين قال ﷺ: " يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَومَ القِيَامَةِ، (أي بعد الحسابِ والميزان) فيَقولُ: مَن كانَ يَعْبُدُ شيئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَن كانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، ويَتْبَعُ مَن كانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، ويَتْبَعُ مَن كانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، (وفي رواية: فلا يبقى أحدٌ كان يعبُدُ غيرَ اللهِ من الأصنامِ والأنصابِ إلَّا ويتساقطون في النَّارِ)، وتَبْقَى

هذِه الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فيقولُ: أنَا رَبُّكُمْ، فيَقولونَ: هذا مَكَانُنَا حتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ في صُورَتِهِ الَّتي يَعْرِفُونَ، فيَقولُ: أنَا رَبُّكُمْ، فيَقولونَ: أنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، ويُضْرَبُ الصِّرَاطُ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أنَا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجِيزُهَا" ..

وصفُ الصِّراط

الصِّراطُ في اللغة هو الطريق، وشرعاً: هو جِسرٌ خاصٌ يُنصبُ على متن جهنَّمَ من طرفها الأدنى لأهل الموقف، إلى الطرف الآخرِ الموالي للجنَّة، إذ لا طريقَ للجنَّة إلا من خلاله، ولا بدَّ للمؤمنين والعُصاةِ والمنافقينَ من عبوره، فمن تجاوزهُ وصلَ إلى الجنَّة بفضل اللهِ تعالى ورحمته، في الحديث الصحيح: قال ﷺ: "والصِّراطُ كحَدِّ السَّيفِ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ"، وفي الصحيحين: "قُلْنَا: يا رَسولَ اللَّهِ، وما الجَسْرُ؟ قالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عليه خَطَاطِيفُ

وكَلَالِيبُ، وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ"، وفي رواية صحيحة: "وعلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلالِيبُ وحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَن شاءَ اللَّهُ" ..

والكلاليبُ جمعُ كلُّوبٍ وهو حديدةٌ مثنيةُ الرأسِ يُعلقُ عليها اللحم، والخطَّافُ مِثلهُ أو قريباً منه، والحسَكةُ شوكةٌ صُلبةٌ طويلةٌ، فالصِّراطُ حادٌّ دقيقٌ كحدِّ السيف، دحضٌ مزلةٌ يروغُ بالأقدام، إلا من ثبتهُ الله، والخطاطيفُ والكلاليبُ تنهشُ من يمينٍ وشمالٍ، إلا من نجاهُ الله .. والنبيُّ ﷺ ثمَّ أمتهُ هم أولُ من يعبرُ الصِّراطَ، ثمَّ باقي المؤمنينَ من باقي الأمم ..

سرعةُ المرورِ على قدر صلاحِ الأعمال

يتفاوتُ الناسُ في سرعة المرورِ على الصِّراط تفاوتاً عظيماً، جاء في صحيح البخاري: "فناجٍ مُسَلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوسٌ في نار جهنم"، وذلك لأنَّ المرورَ عليه يكونُ بقدر الإيمانِ والأعمالِ الصالحة، ويُعطى كلُّ إنسانٍ نوراً على قدر إيمانهِ



وعملهِ يُنيرُ لهُ ما أمامهُ من الصِّراط، فالصِّراطُ منصوبٌ فوقَ جهنم، وجهنمُ سوداءُ مُظلمةٌ، فالصراطُ مُظلمٌ ظلاماً تاماً .. فتخيلَ هولَ الموقفِ وصعوبته، ظلامٌ تامٌّ، وصِراطٌ كحدِّ السيف، مدحَضةٌ يزِلُ بالأقدام، على جنباته كلاليبُ وخطاطيفُ وحسك، في الحديث الصحيح: "فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْرِ أعمالِهم، وقال: فمنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ الجبلِ بينَ يَدَيْهِ، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه فوقَ ذلك، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ النخلةِ بيمينِهِ، ومنهم مَن يُعْطَى دون ذلك بيمينِه، حتى يكونَ آخِرُ مَن يُعْطَى نُورَه على إبهامِ قَدِمِه، يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مَرَّةً، وإذا أضاءَ قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طَفِئَ قام، قال فيَمُرُّ ويَمُرُّونَ على الصراطِ، والصراطُ كحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ، مَزَلَّةٌ، فيُقالُ لهم، امْضُوا على قَدْرِ نورِكم، فمنهم مَن يَمُرُّ كانْقِضاضِ الكوكبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالطَّرْفِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرَّجلِ، يَرْمُلُ رَمَلًا، فيَمُرُّونَ على قَدْرِ

أعمالِهِم، حتى يَمُرَّ الذي نورُه على إبهامِ قَدَمِه، تَخِرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يَدٌ، وتَخِرُّ رِجْلٌ، وتَعْلَقُ رِجْلٌ، وتُصِيبُ جوانبَهُ النارُ فيَخْلُصُونَ، فإذا خَلَصُوا قالوا: الحمدُ للهِ الذي نَجَّانا منكِ بعدَ أن أَرَانَاكِ، لقد أعطانا اللهُ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ"، وجاء في وصف آخرِ رجلٍ يجتازُ الصِّراط، قال: "ثم يكونُ آخرهم رجلاً يتلبطُ على بطنه فيقول: يا ربِّ لماذا أبطأتَ بي فيقول: لم أُبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك"، والحديثُ صححهُ الحاكم ..

خِداعُ اللهِ تعالى للمنافقين

في بداية عبورِ الصِّراطِ يُعطي اللهُ المنافقين نوراً يكشفُ لهم الطريق، وما إن يبدأوا في عبور الصِّراط، حتى يسلبَ اللهُ منهم أنوارهم، وهذه هيَ الخدعةُ التي وعدهم اللهُ بها في كتابه، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: 142]، فإذا ذهبت أنوارهم وقفُوا حيارى لا يستطِيعونَ

التَّحرك، فيأخذونَ في الصُراخ ينادونَ المؤمنين، انتظرونا نقتبِس من نوركم .. تأمَّل المشهد: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحديد:12-15] ..

فإن قلتَ وما حِكمةُ الصَّراطِ وعبورِ المؤمنين والمنافقين عليه، فالجوابُ لعِدةِ أمور، أحدها: فرحُ المؤمنين وسرورهم بالنجاة من

النار، قال تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران:185] ..

وثانيها: أنَّ فيه مزيدُ غمٍّ وألمٍ على أهل النارِ حين يرونَ المؤمنينَ يمرونَ ويعبرون، بينما هم فيها ماكثون ..

وثالثها: أنَّ تقدير المؤمنين لما أكرمَهم اللهُ به من النعيم سيزدادُ بعدَ مُعاينتِهم للنَّار، حتى أنهم ليقولون: الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ..

ورابعها: معاقبةُ المنافقين من جنس ما كانوا يفعلون، فقد كانوا يخادعون اللهَ والذين آمنوا، بأن كانوا في الظاهر مع المؤمنين، وفي الباطن مع المشركين ..

وخامسها: إنفاذُ مُرادِ اللهِ ومشيئته، فاللهُ تعالى قد قضى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم:71-72] ..



أهمُّ أسبابِ الثباتِ على الصِّراط:

وأمَّا إن سألتَ عن الأعمال الصالحةِ التي تزيدُ من ثبات المؤمنِ على الصراطِ بفضل الله تعالى، فهناك عدةُ أعمالٍ منها: مُلازمةُ المسجد، ففي الحديث الحسن، قال ﷺ: (المسجدُ بيتُ كلِّ تقيٍّ، وتكفَّلَ اللهُ لمن كان المسجدُ بيتَهُ بالرُّوحِ والرَّحمةِ، والجَوازِ على الصِّراطِ إلى رِضوانِ اللهِ، إلى الجنَّةِ)، (ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ، أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ)، و(من ردَّ عن عرضِ أخيهِ ردَّ اللهُ عن وجهه النَّارَ يومَ القيامة)، و(مَن أقالَ مُسلِمًا بيعتَه؛ أقالَهُ اللهُ عَثرتَهُ يومَ القِيامةِ)، و(من مشى مع مظلومٍ حتى يُثبِتَ لهُ حقهُ ثبَّتَ اللهُ قدميهِ على الصِّراط يومَ تزلُ الأقدام)، و(صنائِعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ)، وكلها أحاديثُ صحَّحها الامامُ الألباني ..

وبعدما عرفنا بعضَ أحوالِ الصِّراطِ وأهوالهِ .. فالسؤالُ المتبادرُ ماذا أعددنا لذلك الموقفِ العصيب، والكربِ الرهيب، ففي صحيح مُسلمٍ، قال اللهُ تعالى في الحديث القدسي: "يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ"، وفي محكم التزيل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: 46] ..

تعدُّدُ الشَّفاعاتِ بإذن الله تعالى

ألا وإنَّ من سِعةِ رحمةِ اللهِ جلَّ وعلا وعظيمِ فضله، وعلمهِ تعالى بما سيكونُ عليه حالُ الناسِ بعد الصراطِ، فقد شرعَ اللهُ تعالى الشَّفاعةَ، وجعلها في عُصاة المؤمنين خاصَّةً، إذ لا شفاعةَ لكافرٍ، تأمَّل: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} [طه:109]، وقال تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي



السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:26]، فاللهُ جلَّ وعلا وحدهُ هو من يملكُ أمرَ الشَّفاعةِ، قال تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر:44]، وهو سبحانهُ من يختارُ من خلقه من يشاءُ ليجعلَهم من بعدِ إذنهِ شُفعاءَ يومَ القيامةِ، وأعظمُ من سينالُ هذا الشَّرفَ العظيمَ هو نبينا وسيدنا محمدٌ ﷺ، فهو صاحبُ الشَّفاعةِ العظمى والأولى في بدء الحسابِ، وهو كذلكَ أعظمُ من سيشفعُ للعصاة والمذنبينَ وأصحابِ الكبائرِ من أمتهِ ﷺ، في صحيح مُسلمٍ قال ﷺ: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفاعَةً لِأُمَّتي يومَ القِيامَةِ، فَهي نائِلَةٌ إنْ شاءَ اللَّهُ مَن ماتَ مِن أُمَّتي لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا"، وفي البخاري، قال ﷺ: "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بشَفاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ"، وفي البخاري أيضاً: "أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي

يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ"، وفي البخاري أيضاً: "مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ" .. كما أنَّ باقي الأنبياءِ والصدقينَ والشهداءِ والعلماءِ والصالحين سيشفعون، وحتى الوالدُ يشفعُ لولده، والوالدةُ تشفعُ لأولادها، والأخُ يشفعُ لأخيه، والصديقُ يشفعُ لصديقه، في الحديث الصحيح: قال ﷺ: "حتَّى إذا خلُصَ المؤمنونَ من النَّارِ (أي عبروا الصِّراط) فوالَّذي نفسي بيدِه ما من أحدٍ منكم بأشدَّ (لي) مناشدةً للهِ في استقصاءِ الحقِّ من المؤمنين للهِ يومَ القيامةِ لإخوانِهم الَّذين في النَّارِ، يقولون ربَّنا كانوا يصومون معنا، ويُصلُّون، ويحُجُّون، فيُقالُ لهم: أخرِجوا من عرفتم"، وفي الحديث الصَّحيح: "يَشفَعُ الشهيدُ في سبعينَ مِن أهلِ بيتِه"، وفي الحديث الحسن: "يُحْمَلُ النَّاسُ على الصِّراطِ

يومَ القيامةِ، فتتَقَادَعُ بهم جَنَبَتَا الصراطِ تَقَادُعَ الفَرَاشِ في النَّارِ، فَيُنَجِّي اللهُ برحمتِه مَن يشاءُ، ثم إنه يُؤْذَنُ في الشَّفاعةِ للملائكةِ والنبيينَ والشُّهداءِ والصِّدِّيقِينَ، فيَشْفَعُونَ ويُخْرِجُونَ مَن كان في قلبِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من إيمانٍ"، وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: "يدخلُ الجنَّةَ بشفاعةِ رجلٍ من أمتي أكثرَ من بني تميمٍ، قيلَ: يا رسولَ اللهِ سِواكَ قال: سِوايَ"، ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى برحمته وفضلهِ العظيم لن يُبقي في النَّار من شهدَ أن لا إله إلا الله، بل إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كما في الصحيحين يَقولُ: "شَفَعَتِ المِلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ المؤْمِنونَ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ (أو قَبْضَتَيْنِ)، فيُخْرِجُ مِنْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدِ احْتَرَقُوا حتى صارُوا حُمَمًا .." ..

اللهم فأجرنا والمسلمين أجمعين من النَّار ..

الفصلُ الخامس عشر: النَّارُ وأهوالها

النَّارُ عياذاً بالله من النَّار: هي سطوةُ الجبَّار، وبطشةُ المنتقمِ القهَّار، ومثوى المنافقين والفجَّار، ومستقرُ المشركين والكفَّار، ودارُ المستكبرينَ الأشرار، هي حسبهم وبئسَ القرار، {النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحج:72]، {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص:27]، {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الجاثية:7]، {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات:15]، {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى} [المعارج:15]، إنها جنَّهمُ الهاوية، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة:10-11]، إنها الحُطمة، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ} [الهمزة:5-6]، إنها {جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن:43]، {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء:97]، {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب:65] ..

وصفُ النَّارِ وبعضُ أهوالها

واللهِ إنَّ القلمَ ليعجزُ عن وصف النَّارِ وأهوالها، وعن شقاء وهوانِ ومذلةِ أهلها، وعمَّا أعدهُ اللهُ من العذاب والنَّكالِ لمن سيكونُ فيها، كيفَ لا، وهي نارٌ هائلةٌ مُرعبةٌ، شاسِعةٌ واسِعةٌ مُفزعةٌ، ومع أنَّ أجسادَ الكفَّارِ تضَّخمُ فيها، حتى يكونَ مكانَ جلوسِ الواحدِ منهم كما في الحديث الصحيح، كما بينَ مكةَ والمدينة، وضِرسهُ كجبل أُحدٍ، ومع أنّ أهلها المخلدونَ فيها كثيرون جداً، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف:179]، إلا أنَّها كلما قيلَ لها هل امتلأتِ قالت: هل من مزيد، حتَّى يَضَعَ الجبارُ قَدَمَهُ فيها، فَيَنْزَوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ وتَقُولُ: قَطْ قَطْ .. وأمَّا عُمقها فكما جاء في الحديث الصحيح: "لو أنَّ حجرًا مثلَ سبعِ خلِفَاتٍ، أُلْقِيَ عن شَفيرِ جهنمَ هَوَى فيها سبعينَ خَريفًا لا يبلُغُ قعرَها" ..

وجهنَّمُ عياذاً بالله، طبقاتٌ أو دركات، بعضُها فوقَ بعض، وبعضُها أشدُّ من بعض، ثمَّ إنها مُحاطةٌ بسورٍ هائلٍ عظيم، {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف:29]، وعلى السُّور أبوابٌ مُؤصدةٌ مُغلقة، يُساقُ إليها المجرمون: {زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:71]، و{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} [الحجر:44]، فكُلٌ يُدخلُ بحسب عمله، ويستقرُ في الدرك الذي يستحقه، واللهُ أعلمُ بالذين هم أولى بها صِلّيا، فـ{الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء : 145]، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:46]، فإذا أدخلوا جميعاً أغلقت عليهم فلم تُفتح أبداً، قال تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} [الهمزة: 8] ، وقال تعالى: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة:20] ..

ويا لهولِ ما أعدهُ الجبَّارُ لأهل النَّار: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا} [الإنسان: 4]، {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [التوبة:68]، {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى} [المعارج :15-16]، {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة:162]، نارٌ مهولة: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:6]، ثمَّ إنَّ {الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} [غافر:72]، {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء:97]، و{يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [القمر:48]، {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} [الحج:19-21]، {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا

غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء:56]، {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر:37] ..

طعامُ وثيابُ أهلِ النَّار

ولئن كان النَّاسُ يحتاجون الطعامَ واللباسَ في الدُّنيا غِذاءً ودِفئاً وزينةً، فإنهُ لأهلِ النَّار نوعٌ من العذاب عياذاً بالله، يقولُ اللهُ تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} [المزمل:12-13]، وإنَّ من عذاب أهلِ النَّارِ أن يُسلَّطَ عليهم الجوع، فلا يجدون إلا الزَّقوم: شجرةٌ فظيعةٌ مُنتنة، {شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ} [الصافات:

65-68]، شجرةٌ مُسلَطةٌ تغْلِي فِي الْبُطُونِ، {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} [الدخان:46]، وفي الحديث الصحيح: "لو أنَّ قطرَةً مِنَ الزَّقومِ قُطِرَتْ في دارِ الدنيا، لأفسدَتْ علَى أهلِ الدنيا معايِشَهُم، فَكَيْفَ بِمَنْ تكونُ طعامَهُ" .. ومِن طعامِهم الضَّريع، وهو نباتٌ مرٌّ مُنتنٌ كثيرُ الشَّوكِ، قال تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} [الغاشية:6-7] .. ومن طعامِهم الغسلِينُ والغسَّاق، وهما بمعنىً واحدٍ، وهو عُصارةُ أهلِ النَّار وما يسيلُ منهم، قال تعالى: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ} [الحاقة:35-36]، وقال تعالى: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص:57-58]، وقال جلّ وعلا: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد:15]، وقال تعالى: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف:29]، وقال تبارك وتعالى: {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ

* يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم:16-17]، وفي الحديث الصحيح: "إنَّ على اللهِ عهدًا لمن ماتَ وهو يشربُ الخمرَ أن يسقِيَهُ من طينةِ الخبالِ، قيل: يا رسولَ اللهِ وما طينةُ الخبالِ؟ قال: عُصارةُ أهلِ النَّارِ أو قال: عرقُ أهلِ النَّارِ" ..

وأما ثيابُهم فسبحانَ من خلقَ لهم ثياباً من نار، قال تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} [الحج: 19]، وقال تعالى: {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} [إبراهيم: 50]، والسرابيلُ هي الثياب، والقطِرانُ هو الزفت المنصهر، واذا كانت ثيابهم من نارٍ وقَطِران، فإن لحافهم وفراشهم فيها شبيهٌ بذلك، قال تعالى: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأعراف:41]، وقال تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} [الزمر:16]، يتمنون فيها الموت والهلاك، وما لهم منها فِكاك، {وَنَادَوْا يَا



مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف: 77]، فيعظمُ يأسُهم، وتقنطُ نفوسُهم وييأسون: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم:21]، ثمَّ يُنسونَ فيها أبداً ولا يُذكرون، {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الجاثية:34]، {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة:14] .. اللهم لا إله إلا أنت: {سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191] ..

أصنافُ الموعودين بدخول النَّار

والنَّارُ عياذاً بالله من النَّار، موعودٌ بها مُدمِنُ الخمر، وقاطِعُ الرَّحِم، والمصدِقُ بالسِّحر، والمنَّانُ والنَّمَّام .. موعودٌ بها الذين يكنزونَ الذَّهبَ والفضَّةَ ولا ينفقونها في سبيل الله، موعودٌ بها المصورون الذين يضاهِئونَ خلقَ اللهِ بصنع التَّماثيل .. موعودٌ

بها المراؤونَ من القراء والعلماءِ والمجاهدين والمنفقين .. موعودٌ بها صِنفانِ من القُضاة الظَّلمة، (ومن غشَّ رعيتهُ فهو في النَّار)، ومن كذبَ على الرسولِ ﷺ مُتعمداً، فليتبوَّأْ مقعدَهُ من النَّارِ، موعودٌ بها من انتسبَ إلى غير أبيه، (ومن اقتطعَ مالَ أخيهِ بيمينٍ فاجرةٍ فليتبوأ مقعدهُ من النَّار)، (والذي يشربُ في آنية الذهبِ والفضَّةِ فإنما يُجرجرُ في بطنه نارَ جهنَّم) .. وويلٌ لأكلة الرِّبا ثمَّ ويلٌ لهم من النَّار، وكذلك كُل جسدٍ نبتَ من سُحتٍ فالنَّارُ أولى به، وصِنفانِ من أهل النَّار: قومٌ معهم سِياطٌ كأذناب البقرِ يضربونَ بها النَّاس، والكاسياتُ العارياتُ المائِلاتُ المميلات .. وكُلها جاءت بها أحاديثٌ صحيحةٌ ..

كلُّ من يدخُل النَّارَ فقد استحقها

المسلمُ يعلمُ أنَّ مغفرةَ اللهِ عظيمةٌ، وأنَّ سِعةَ عفوهِ كبيرة، وأنَّ اللهَ هو العزيزُ الغفَّار، وأنهُ هو الغفورُ الودود، وأنهُ هو التَّوابُ



الرَّحيم، وأنهُ يغفرُ الذنوبَ جميعاً، وأنَّ رحمتهُ وسِعت كلَّ شيء، وهو سبحانهُ الذي يُنادي المسرفين: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر:53]، ويؤكدُ لهم قائلاً: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82]، وفي الحديث الصحيح: "لا يهلكُ على الله إلا هالك"، "والتَّائبُ من الذنب كمن لا ذنبَ له"، بل إنَّ سيئاتِ التَّائبِ تُبدلُ إلى حسنات، والحسنةُ بعشر أمثالها، إلى أضعافٍ كثيرة .. فمعنى هذا أنَّ من استوجبَ النَّارَ وهوى من الصِّراط، فهو الذي جنى على نفسه، فهو لم يتب، ولم يغتنم فضلَ اللهِ العظيم، ولم يظفر برحمته الواسِعة، وقد قصَّر في حقِّ ربه جلَّ وعلا أيما تقصير، وفرَّطَ في حقِّ نفسهِ أيما تفريط، فـ{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء:40]، و{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [يونس:44]، {ذَلِكَ بِمَا

قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [الأنفال:51]، {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الجاثية: 22] ..

أعمالٌ تنجي بفضل اللهِ من النَّار

لا شكَّ أنَّ ناراً بهذه المواصفاتِ المروعة، جديرةٌ بإن تُتقى وأن يُحذرَ منها، فاللهُ جلَّ وعلا يقول: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران:131]، وفي الحديث الصحيحِ، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "لا يلِجُ النَّارَ رجُلٌ بَكَى مِن خشيَةِ اللَّهِ حتَّى يَعودَ اللَّبَنُ في الضَّرعِ"، وقال ﷺ: "مَن صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ، بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"، وصدقةُ السِّرِ تُطفئيُ غضبَ الرَّبِّ، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ فإنْ لم تجِدوا فبكلمةٍ طيِّبةٍ"، وفي الحديث الصحيح: "إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ،

يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ"، و"مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ"، و"حَرَّمَ اللَّهُ على النَّارِ أنْ تَأْكُلَ أثَرَ السُّجُودِ، و"حُرِّمَ على النَّارِ كُلُّ هيِّنٍ، ليِّنٍ، سهْلٍ، قريبٍ من الناسِ"، و"بشرِّ المشائينَ في الظلمِ إلى المساجدِ، بالنُّورِ التامِّ يومَ القيامةِ"، ثم إنَّ التعوذَ بالله من النَّار هو دأبُ الصَّالحين، ففي الحديث الصَّحيح: "ما سأَلَ رجلٌ مُسلمٌ اللهَ الجنَّةَ ثلاثًا، إلَّا قالتِ الجنَّةُ: اللهم أدخلْهُ الجنَّةَ، ولا استجارَ رجلٌ مُسلِمٌ اللهَ منَ النَّارِ ثلاثًا، إلَّا قالتِ النَّارُ: اللهمَّ أجرْهُ منِّي" ..

اللهم فأجرنا من النَّار، اللهم أجرنا من النَّار، اللهم أجرنا من النَّار، برحمتك وفضلك يا عزيزُ يا غفَّار ..

الفصلُ السادسَ عشر: جِنانُ الخُلدِ ونعِيمها

ولكي يكونَ خِتامُ كلامِنا مِسكاً، فسنختمهُ بالحديث عن جِنانِ الخلدِ ونعيمها، وعن الأعمال الصَّالحةِ التي تُهيئُ المسلمَ بفضل اللهِ لدخولها والتَّرقي في درجاتها ..

تهيئةُ المؤمنين لدخولِ الجنَّة

إذا انتهى يومُ القيامة، وانتهى الوقوفُ الطويل، وانتهى العرضُ والميزان، وانتهى عبورُ الصِّراط، ووصلَ المؤمنونَ بفضل اللهِ تعالى إلى مكانٍ قريبٍ من الجنَّة، يقالُ له القنطرة، وهو جسرٌ بين الجنَّةِ والنَّار، فيه من نسائم الجنَّةِ وريحها وبعضِ نعيمها .. هناك يُهيأُ المؤمنونَ لدخول الجنان، فيهذبون وينقَّون، ذلك أنَّ ما في القلوب من الغلِّ والشحناءِ لا يزولُ كلُّهُ بمجرد القَصاص، فيكرمهم اللهُ بنزعه من نفوسهم، قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر:47]،



فلا يدخلون الجنَّةَ إلا على أكمل حالٍ، وبغاية الودِّ والصَّفاء، على قلب رجلٍ واحد، في صحيح البخاري، قال ﷺ: "يَخْلُصُ المؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فيُحْبَسُونَ علَى قَنْطَرَةٍ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِن بَعْضٍ مَظالِمُ كانَتْ بيْنَهُمْ في الدُّنْيا، حتَّى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ" ..

تنظيمُ الدُّخولِ إلى الجنَّة

بعد أن يُهذبَ المؤمنونَ وينقونَ يتمُّ توزيعُهم إلى زُمرٍ وجماعات، وذلك بحسب ما كان يَغلِبُ عليهم من الأعمال، فالصِّدِيقونَ مع بعضهم زُمرة، والعُلماءُ مع بعضهم زُمرة، والمجاهدونَ زُمرة، وأهلُ الصِّيام زُمرة، وأهلُ القرآنِ زُمرة، وهكذا فكلُّ من غلبَ عليهم عملٌ صالحٌ في الدنيا، يُشكِلونَ زُمرةً مع بعضهم .. وللجنَّة ثمانيةُ أبواب، وكلُّ زُمرةٍ تدخُلُ من الباب الذي يُناسِبُ عملها، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى

إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر:73]، قال ابن كثير رحمه الله: زُمَرًا: جماعةً بعدَ جماعة، وجاء في الحديث الصحيح، قال ﷺ: "لكُلِّ أهْلِ عَمَلٍ بابٌ مِن أبوابِ الجنَّةِ، يُدعَوْنَ منهُ بذلكَ العَمَلِ"، وفي صحيح البخاري، قال ﷺ: "في الجنَّة ثمانيةُ أبوابٍ، فيها بابٌ يُسمى: الريان لا يدخله إلا الصائمون" ..

أولُ من يطرقُ بابَ الجنَّة، وأولُ من يدخلها

فإذا انتهى المؤمنون إلى أبواب الجنَّةِ وجدوها مُغلقة، فيتشاورونَ فيمن يستأذِنُ لهم بالدخول، فيقصدونَ آدم، ثمَّ نوحًا ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسى ثمَّ عيسى، ثمَّ محمدًا ﷺ، كما فعلوا سابقاً في موقف الشَّفاعةِ، وفي ذلك مزيدُ اعلانٍ وإبرازٍ لعلو منزلةِ المصطفى ﷺ، ففي صحيح مُسلم، قال رَسُولُ اللّه ﷺ: «آتِي باب الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ،



فَيَقُولُ: بِكَ أمِرْتُ، لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»، وفي صحيح مُسلم: قال ﷺ: "أنا أكْثَرُ الأنْبِياءِ تبَعًا يومَ القِيامَةِ، وأنا أوَّلُ مَن يَقْرَعُ بابَ الجَنَّةِ"، وفي الصحيحين، قال ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ»، وفيهما أيضاً، قال ﷺ: "أوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي على صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ علَى أشَدِّ نَجْمٍ في السَّماءِ إضاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذلكَ مَنازِلُ"، وفي روايةٍ صحيحة: "على خلْق رجُلٍ واحد، على صورة أبيهم آدم، ستونَ ذراعًا في السماء"، وفي صحيح مُسلم، قال الصحابي الجليل عُتبةُ بن غزوان: (وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ ما بيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهو كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ)، وفي الحديث المتفقِ عليه، قال ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ ألْفاً، أوْ سَبْعُ مِائَةِ ألْفٍ (شك الراوي) مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لا يَدْخُلُ

أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ" ..

نهايةُ الموت:

وفي صحيح مُسلم: قال ﷺ: "يُجاءُ بالموْتِ يَومَ القِيامَةِ، كَأنَّهُ كَبْشٌ أمْلَحُ، فيُوقَفُ بيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقالُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ هلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ ويقولونَ: نَعَمْ، هذا الموْتُ، قالَ: ويُقالُ: يا أهْلَ النَّارِ هلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ قالَ فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ ويقولونَ: نَعَمْ، هذا الموْتُ، قالَ فيُؤْمَرُ به فيُذْبَحُ، قالَ: ثُمَّ يُقالُ: يا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويا أهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فلا مَوْتَ" ..

وصفُ الجنَّة

الجنَّةُ بفضل اللهِ وكرمه: هي مَوْعُودُ ربِّ العالمين، وجائزةُ اللهِ للمؤمنين المطِعين، ومستقرُ عبادِ الله الصَّالحين المفلحين ..



الجنَّةُ: شيءٌ لا مثيلَ لها، هي وَرَبِّ الكعبةِ نورٌ يَتلألأُ، وريحانةٌ تَهْتزُّ، وقصرٌ مشِيدٌ، ونهرٌ مضطَّرِدٌ، وثَمَرةٌ نضِيْجَةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ودارٌ سليمةٌ بهيّة، في مُقَامٍ أبدٍ .. الجنَّةُ: نعيمٌ لا يخطرُ ببال، وسعادةٌ لا يعتريها زوال، وأحلامٌ لا تعرفُ المحال .. الجنَّةُ: دَارُ الخُلدِ والنَّعِيْمُ المقيم، ودَارُ السَّلَامِ والفوزُ العظيم، إنها {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم:61-63] .. دارٌ أشرقَ ضياؤُها، وطابَ فِناؤُها، وعظُمَ بناؤُها، وتكامل بهاؤها .. دارٌ لا ينفَدُ نعيمُها، ولا ييأس أهلُها، ولا يَنقُصُ حُسنُها .. دارٌ تبلغُ النفوسُ فيها كُلَّ مُناها، جلَّ وتقدَّسَ وتباركَ من سوَّاها ..

دارٌ غرسَها الرحمنُ بيده، وملأها برضوانه ورحمته، وزيَّنها وأتقنها بعظيم قدرته، وجعلها مُستقرًا لأهل كرامته، سمَّاها الحُسنى

فقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26]، ووصفَ دخولها بالفوز العظيم، ووصفَ نعيمها بالنعيم المقيم، ووصفَ مُلكها بالملك الكبير، فقال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان:20] .. ثمَّ قال لها تكلمي قالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: 1] .. يناديهم المنادي: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} [الحجر:46]، لكم النعيمُ سرمدًا، تحيونَ فيها ولا تموتون أبدًا، وتصحون ولا تمرضون أبدًا، وتشبون ولا تهرمون أبدًا، وتنعمون ولا تبأسون أبدًا، {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: 24] ..

بيوتُ أهلِ الجنَّة

بيوتُ أهل الجنَّة، وما أدراك ما بيوتُ أهلِ الجنَّة، دارُ حُبورٍ ونعيم، سقفُها عرشُ الرحمن، وتربتُها مِسكٌ وزعفران، وحصباؤها اللؤلؤُ والمرجان، ولبناتُ قصورها ذهبٌ في غاية الصفاءِ



واللمعان، غُرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية، يُرى باطنها من ظاهرها وظاهِرها من باطنها، تَجْرِي مِن تَحْتِهَا أَنْهَارٌ من غير ما أُخدود، أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسن، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مصفى، لا ينقصُ منسوبها، ولا يتغيرُ صفاءُها، أبردُ من الثلج، وأطيبُ ريحاً من المسك ..

أمَّا أرائكها فسررٌ عاليةٌ مرفوعة، وأمَّا وسائدها فجميلةٌ مصفوفة، وأمَّا سجاجيدها ففاخرةٌ مبثوثة، وأمَّا آنيتها فمن الذهبُ والفضَّةُ في صفاء القوارير، {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 31] .. خيامها لؤلؤةٌ مجوَّفة، طولها في السماء ستونَ ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوفُ عليهم فلا يرى بعضهم بعضاً، فضلاً من الله ونعمة .. سِيقانُ أشجارها من الذهب، وأغصانُها من الفضَّة، وثمارها أحلى من الشَّهد، وألينُ من الزبد، وأوراقها أرقُّ من الحرير، إذا

حركتها الرياحُ أصدرت أصوتاً عذبةً تسرُّ السامعين، يسيرُ الراكبُ في ظلها مائةُ عامٍ لا يقطعُها .. ظلُّها ممدودٌ، وطلحُها منضودٌ، وفاكهتها كثيرةٌ، لا مقطوعةٌ ولا ممنوعة، قد ذُلِّلت قطوفُها تذليلاً، فهم منها يتخيرون ويأكلون، ولحمِ طيرٍ مما يشتهون، ومن التسنيمُ والكافور يشربون، {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً} [الإنسان: 17-18]، لا يجوعونَ فيها ولا يظمئون، ولا يتعبونَ ولا ينامون، وإنما لذَّاتٌ متتابعة، ومسراتٌ مُتعاقبة، ونعيمٌ من بعده نعيم، {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: 71]، {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ من معِينٍ} [الواقعة:17-18]، لباسهم السندسُ والإستبرقُ والحرير، في غاية الفخامةِ والنعومةِ والجمال، وحُليهم أساورَ

الذهبِ واللؤلؤِ، وتيجانُهم الألماسُ المرصع، أمشاطُهم الذهب، ورشحُهم المسك، ومجامرهم الألوَّة، أفضلُ أنواع الطيب ..

زوجاتُ أهلِ الجنَّة

إمَّا إن سألتَ عن زوجات أهلِ الجنَّةِ فالحورُ العين، كواعبٌ أتراب، خيراتٌ حِسان، كأنهنَّ الياقوتُ والمرجان، كأمثال الؤلؤ المكنون، إذا برزت فكأنَّ الشمسَ تجري من محاسن وجهها، وإذا تبسمت أضاءَ البرقُ من بين ثناياها، وإذا قابلت زوجها، فقل ما تشاءُ في تقابل الشمسِ والقمر، إن نظرَ إليها سرَّتهُ، وإن أمرها أطاعتهُ، وإن طلبها أجابتهُ، لا تزدادُ على الأيام إلا حُسناً وجمالاً، مبرأةٌ من الحمل والولادة، مُنزهةٌ من الحيض والنُّفاس، مُطهرةٌ من المخاط والبُصاقِ وسائرِ الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا يُملُّ وصالها، قد قَصُرَتْ طرفَها، فلا تنظرُ لأحدٍ غير زوجِها، يَرى وجهَهُ في صفَاء خدِّها، ويرى مُخَ ساقِها من وراء

لحمِها وحُللِها، فهي لهُ ومعهُ في غاية السعادةِ والاطمئنان، لم يطمثها قبلَهُ إنسٌ ولا جان، {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: 13]، كلما برزت أمامهُ ملأت مكانهُ حُبوراً، وكلما نظرت إليهِ ملأت قلبَهُ سروراً، وكلما تبسمت في وجهه أضاءت أطرافَ جنتهِ نوراً، وكلما حادثتهُ اسمعته دُراً منثوراَ، فسبحانَ من صورها وأنشأها: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً * لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة:35-38]، {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ} [يس:55-57]، وفي صحيح مُسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة لسُوقاً يأتونَها كُلَّ جمعةٍ فتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ فتحثو في وجوهِهم وثيابِهم فيزدادُون حُسناً وجَمالاً، فيرجعونَ إلى أهلِيْهمْ فيقولُونَ لهم: واللهِ لقد ازددتم بعدنا حُسناً وجمالاً فيقولون: وأنتم واللهِ لقد ازددتم بعدَنا حُسناً وجمالاً» ..

أعظمُ نعيمِ أهلِ الجنَّة

أمَّا أعظمُ نعيمِ أهلِ الجنَّة، فكما جاءَ في الحديث الصحيح، قال ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، نادىَ منادٍ يا أهلَ الجنَّةِ، إنَّ لكم عندَ اللهِ مَوْعِداً يريدُ أن يُنْجِزَكُمُوهُ، فيقولونَ: ما هُو، ألَمْ يُثَقِّلْ موازيننَا، ويُبَيِّضْ وجوهَنا، ويدخلْنا الجنَّةَ، ويزحْزحْنا عن النار؟ قال: فيكشِفُ لهم الحِجَابَ فينظرونَ إليه، فوالله ما أعطاهُم اللهُ شيئاً أحبَّ إليهمْ من النَّظرِ إليه، ولا أقرَّ لأعينِهم منهُ»، وفي صحيح البخاري قَالَ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)..

نعيمُ الجنَّةِ أكبرُ ممَّا وصِفَ لنا

إنَّ مما يلفتُ الانتباهَ أنَّ كلَّ ما ذُكِرَ من أوصاف الجنَّةِ ونعيمها، لا يعدو أن يكونَ مجردَ تلميحاتٍ وإشاراتٍ فقط، أمَّا الحقيقةُ فإنَّ نعيمَ الجنَّةِ أكبرَ منهُ وأعظم، وأجلّ وأضخم، لأنَّ اللهَ تعالى: إنما وصفهُ لنا على قدر عقولنا، وما تستوعبهُ أفهامنا، ففي الحديث القدسي الصَّحيح، قال اللهُ تعالى: "أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ "، وقال تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17]، وقال جلَّ وعلا: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق:35]، وقال تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف:71] ..



ألا وإن جنَّةً فيها كلِّ هذه المزايا والمواصفات، لجديرةٌ أن يبذُلَ المسلمُ من أجلها كل ما يقدِرُ عليه من الطاعات والأعمال الصالحات، فـ{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد:21] .. ولعلنا نتختمُ الكلامَ بذكر أهمَّ وأفضلَ الأعمالِ الصالحةِ التي تُهيئ المسلمَ بإذن اللهِ لدخول تلك الجنان، والترقي في درجاتها،

نسألُ اللهَ الكريمَ من واسع فضلهِ وجزيلِ عطائه ..

الفصلُ السَّابعَ عشر: أعمالُ أهلِ الجنَّةِ وصفاتِهم

المتتبعُ لكتاب اللهِ وسنةِ رسولهِ ﷺ، يجدُ فيهما صفاتٍ وأعمالٍ كثيرةٍ ومتنوعة، تؤهلُ المسلمَ بفضل اللهِ وكرمهِ للفوز بدخول الجنَّة، والترقي في درجاتها .. لكن وقبل كلِّ شيء:

لا بدَّ من صحةِ التَّوحيد

لا بدُّ من أساسٍ صحيحٍ تقومُ عليه جميعُ الأعمالِ الصالحة، وذلك الأساسُ هو التَّوحيد، وتحقيقُ الإيمانِ بأركانه الستة، قال جلَّ وعلا: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة:72]، وفي صحيح مسلم: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلَّا مُؤمِنٌ"، وفي الحديث الصحيح: "مَن لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النَّارَ"، وفي مُسلمٍ، "الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ" ..

أمَّا الأعمالُ الصالحة التي تُدخِلُ الجنةَ فكثيرةٌ جداً ولله الحمدُ والمنة، منها ما جاء في قول اللهِ جلَّ وعلا: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون:1-11]، وقال تبارك وتعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 133-134]، وقال جلَّ وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: 107]، وقال

تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} [لقمان: 8]، وفي الحديث الصحيح: والذي نَفسي بيدِهِ، لَتَدْخُلُنَّ الجنةَ كلُّكُمْ إلَّا مَنْ أبى، وشَرَدَ على اللهِ كشرودِ البَعِيرِ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى" ..

أربعُ صفاتٍ مُهمةٍ لأهل الجنَّة

أهلُ الجنَّةِ لهم صفاتٌ جميلةٌ ومتعددة، لكن أهمَّ هذه الصفاتِ وأعظمها هي التقوى، ولذا كانت هي أعظمُ الوصايا وأكثرها في القرآن ذكراً، فقد ذكرت أكثرَ من (300) مرة، والتقوى من التَّوقي، أن تجعلَ بينك وبين عذاب اللهِ وقاية، وذلك بفعلك للأوامر، وتركك للنواهي، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الذاريات:15]، وقال تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [القلم:34]، وقال تعالى: {وَالْآخِرَةُ

عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} [الزخرف:35]، وفي الحديث الصحيح: "اتَّقوا اللهَ، وصَلُّوا خَمسَكم، وصوموا شهرَكم، وأدُّوا زكاةَ أموالِكم، طَيِّبَةً بها أنفسُكم، وأطيعوا ذا أمرِكم، تدخلوا جنَّةَ ربِّكم" ..

كما أنَّ من أعظمِ وأهمِّ صفاتِ أهلِ الجنةِ، الصدقُ، ففي محكم التنزيل: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة:119] ..

ومن أعظم وأهمِّ صفاتِ أهلِ الجنة صدقُ التوبة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحريم:8]، وقال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم:60] ..

ومن أعظم وأهمِّ صفاتِ أهل الجنةِ الحرصُ على تطبيق السُّنةِ، ففي الحديث الصحيح: "كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى" ..

أعمالٌ صالحةٌ تُدخلُ الجنَّة بفضل الله تعالى

ثم إنَّ هناك جُملةً كبيرةً من الأحاديث الصحيحة، كُلها تبينُ أعمالاً صالحةً تُدخلُ بفضل الله صاحبها الجنَّة، منها قولهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "يا أَيُّها الناسُ، أَفْشُوا السلامَ، وأطْعِمُوا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نِيَامٌ، تَدْخُلوا الجنَّةَ بسَلامٍ"، وقال ﷺ: "ما من عبدٍ يَعْبُدُ اللهَ تعالى لا يُشْرِكُ بهِ شيئًا، ويُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤْتِي الزكاةَ، ويَصُومُ رَمَضَانَ، ويَجْتَنِبُ الكبائرَ إلَّا دخلَ الجنةَ، قيل: وما الكَبائِرُ؟ قال: الإِشْرَاكُ باللهِ تعالى وقَتْلُ النَّفْسِ"، و"مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ



لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ"، متفقٌ عليه، و"مَنْ تَوضَّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثمَّ قالَ: أشهدُ أن لا إلَه إلَّا اللَّهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه فتِّحت لَه ثمانيةُ أبوابِ الجنَّةِ يدخلُ من أيِّها شاءَ»، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «يا بلال، حدِّثْني بأرجى عملٍ عملتَهُ في الإسلام، فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنَّة»، قال: ما عملتُ عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طُهورًا في ساعة ليلٍ أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطُّهور ما كُتبَ لي أن أصلِّيَ»، متفقٌ عليه، و"لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللَّهِ، كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ"، وفي رواية: "بابٌ مِن أبْوابِ الجنَّةِ"، "والحَجُّ المبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ"، و"إذا صلَّت المرأةُ خمسَها، وصامَت شهرَها، وحصَّنَت فرْجَها، وأطاعَت زوجَها؛ قيل لها: ادخُلي الجنَّةَ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ

شِئتِ"، وفي الحديث الآخر: "ألَا أخبرُكم بنسائِكُم في الجنَّةِ، قُلنَا: بلَى يا رسولَ اللهِ، قالَ: كُلُّ ودودٍ وَلودٍ، إذا غَضِبتْ، أو أُسيِءَ إليهَا، أو غضِبَ زوجُها قالتْ: هذهِ يدِي في يدِكَ، لا أكتحِلُ بغَمضٍ حتَّى تَرضَى"، و«مَا مِنْ عبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للَّهِ تَعَالى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عشْرَةَ رَكْعَةً تَطوعًا غَيْرَ الفرِيضَةِ، إلاَّ بَنَى اللَّهُ لهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ»، وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «مَن كَظَمَ غيظًا وهو قادرٌ على أن يَنْفِذَهُ دعاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيّرَه اللهُ مِن الحُورِ ما شاءَ»، و«التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مع النَّبيّينَ والصِّدّيقِينَ والشُّهداءِ»، و"أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين"، و«مَن كان آخرُ كلامِه لا إلهَ إلَّا اللهُ دخَل الجنَّةَ»، و«ما من مُسلمٍ يسجُدُ للهِ سجدةً إلَّا رفعه اللهُ بها درجةً وحطَّ عنه بها سيِّئةً»، وقال ﷺ لمن سأله مُرافَقَتَهُ في



الجَنَّةِ، "أعِنِّي على نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ»، و"مَن صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ"، وفي الحديث الصحيح: "خمسُ صلواتٍ كتبهنَّ اللّهُ على العبادِ في اليومِ والليلةِ، من حافظ عليهنَّ: كان له عهدٌ عند اللّهِ أن يُدْخِلَه الجَنَّةَ"، وعن ثوبان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "من يتقبَّلُ لي بواحدةٍ وأتقبَّلُ لَهُ بالجنَّةِ" قلتُ: أنا قالَ: "لا تسألِ النَّاسَ شيئًا"، قالَ: فَكانَ ثَوبانُ يقعُ سوطُهُ وَهوَ راكبٌ فلا يقولُ لأحدٍ ناوِلنيهِ حتَّى ينزلَ فيأخذَهُ، و"من صامَ يوماً في سبيل الله، وتبعَ جِنازةً، وأطعمَ مِسكيناً، وعادَ مريضاً، دخلَ الجنَّة"، و"من احتسبَ ثلاثةً من صُلبه أو اثنانِ دخلَ الجنَّة"، و"من فارقَ الرُّوحُ الجسدَ وَهوَ بريءٌ من ثلاثٍ، دخلَ الجنَّةَ: الْكبر، والغُلول، والدَّين"، و"اضمنوا لي ستًّا من أنفُسِكُم، أضمنُ لكم الجنَّةَ: اصدُقوا إذا حدَّثتُم، وأوفوا إذا وعدتُم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفظوا فروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم"، وقال ﷺ: "أنا زعيمٌ ببيتِ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن

تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حَسُنَ خُلُقُه"، ومَن قال: "لا إلهَ إلا اللهُ خُتِمَ له بِها دخلَ الجنَّةَ، ومن صامَ يومًا ابْتغاءَ وجْه اللهِ خُتِمَ له به دخلَ الجنَّةَ، ومَن تصدَّقَ بصدقةٍ ابْتغاءَ وجْهِ اللهِ خُتِمَ له بِها دخلَ الجنَّةَ"، و"مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وجَبَتْ له الجَنَّةُ"، و"من عالَ جاريتيْنِ حتى تُدْرِكا، دخلتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتينِ"، و{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب:35]، وأهلُ القرآنِ هُمْ أهلُ اللهِ وخَاصَّتُهُ"، و"يُقالُ لِصاحبِ القرآنِ: اقرَأْ، وارْقَ، ورتِّلْ، كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا؛ فإنَّ مَنزلَتَك عندَ آخِرِ آيةٍ تقرَؤها"، و«مَن قرأَ آيةَ الكُرسيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، لم يمنَعْه مِن دخولِ الجنَّةِ إلَّا أن يموتَ»، من قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عشرَ مراتٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ"، و"المتحابونَ في الله على منابرَ من نورٍ"، و"إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً

وتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ" وفي رواية صحيحة: "لا يَحْفَظُها أحَدٌ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ"، ومع ردَّد مع المؤذن مِن قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ"، و"إنَّ في الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يومَ القِيَامَةِ"، وقال ﷺ: "مَن يَضْمَن لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وما بيْنَ رِجْلَيْهِ، أضْمَنْ له الجَنَّةَ"، وفي حديث آخر: "ألا من حفِظَ فرجَه، فله الجنَّةُ"، وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: "ألَا أُنَبِّئُكَ بأهلِ الجنَّةِ؟ الضعفاءُ المغلوبون"، وقال الصحابيُ الجليلُ أبو امامةَ الباهلي، يا رسولَ اللهِ، أخبِرْني بعملٍ يُدخِلُني الجنَّةَ، قال: "عليك بالصَّومِ؛ فإنَّه لا عِدلَ له"، وفي الحديث القدسي الصحيح: يقولُ اللَّهُ تَعالَى: "ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلَّا الجَنَّةُ"، و"الوالدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّةِ"، و"مَن عادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ حتَّى يَرْجِعَ"، و"الرَّجلُ يزورُ أخَاه في ناحيةِ المِصرِ، لا يزورُه إلَّا للَّهِ في الجنَّةِ"، ومن قالَ سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ حينَ

يُصبحُ موقنًا بِه فماتَ من يومه دخلَ الجَنَّةَ ومن قالَه حينَ يمسي موقنًا بِه فَماتَ من ليلتِهِ دخلَ الجَنَّةَ"، و"ما سألَ رجلٌ مُسلمٌ اللهَ الجَنَّةَ ثلاثًا، إلَّا قالتِ الجَنَّةُ: اللهم أدخلْهُ الجَنَّةَ، ولا استجارَ رجلٌ مُسلِمٌ اللهَ منَ النارِ ثلاثًا، إلَّا قالتِ النارُ: اللهمَّ أجرْهُ منِّي"، وكُلُّها أحاديثُ صحيحةٌ، والحمدُ لله ..

فدونكم أيها الكرامُ: هذه الأعمالُ المتنوعةُ الكثيرة، تخيروا منها وأكثروا، ثم أبشروا .. فوالله ما شرعها اللهُ إلا ليخفِّفَ عنكم، ويُسهلَ عليكم دخولَ الجَنَّةِ، تأمَّل: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس:25]، وقال جلّ وعلا: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:185]، وقال تبارك وتعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء:28]، وفي صحيح البخاري: الجَنَّةُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِن شِراكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذلكَ" ..



اللهم إنا نسألك الجنَّةَ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذُ بك من النَّار وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عمل ..

اللهم ما أعددتهُ لعبادك الصالحين، وأصفيائك المقربين، من النعيمِ المقيم، والفوزِ العظيم، والملكِ الكبير، فاجعل لنا منه أوفر الحظِّ والنصيب .. برحمتك وفضلك يا أكرمَ الأكرمين ..

الخاتمة

وبعدُ أيّها القارئ الكريم: فإنّما ثمرةُ القراءةِ والاطلاعِ كثرةُ الاستفادةِ والانتفاع، ودليلُ ذلك حسنُ الاتّباع، جعلني اللهُ وإياك من {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:18] ..

وكما بدأنا بحمد اللهِ وذكره نختمُ .. فالحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والحمدُ للهِ الذي اعانَ ووفقَ لإخراج هذا الكتاب، وأسألهُ جلَّ وعلا أن يتقبلَهُ بقبولٍ حسنٍ، وأن يجعلهُ مباركاً، وأن ينفعَ به نفعاً عظيماً إلى يوم الدِّين ..

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات:180-182] ..

فهرس المحتويات











المراجع

ر	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
1	موسوعة الآخرة	ماهر الصوفي	المكتبة العصيرية
2	صحيح البخاري	البخاري	دار النفائس
3	صحيح مسلم	مسلم	دار الكتب العلمية
4	السلسلة الصحيحة	ناصر الدين الألباني	المكتب الاسلامي
5	مختصر تفسير ابن كثير	محمد نسيب الرفاعي	مكتبة المعارف
6	تفسير الكريم المنان	عبدالرحمن السعدي	دار ابن الجوزي
7	آيات الله في الكون	ماهر الصوفي	المكتبة العصرية



لماذا هذا الكتاب

الإيمانُ باليوم الآخرِ، ركنٌ من أركان الإيمان، لا يصِحُّ إيمانُ مُسلمٍ بدونه، والدُّنيا بكُلِّ ما فيها فرعٌ صغيرٌ عن الآخرة، والآخرةُ هي الأصل، وهيَ الخلود، وهيَ الحياةُ الحقيقية، وما هذه الدُّنيا إلا رحلةٌ قصيرةٌ، يمرُّ بها الانسانُ ليؤدي فيها امتحاناً مؤقتاً، فإذا انهى امتحانهُ، عادَ إلى الأصل، عادَ إلى آخرته ليبقى فيها مُخلداً إلى ما لا نهاية، فمِن الواجبِ معرِفةُ أكبرِ قدرٍ ممكنٍ من تفاصيل ذلك اليومِ الطويل، وتلك الدارُ السرمديةُ الخالدة ..

ولذا جاء هذا الكتاب ..

نسأل الله أن يكتب له القبول وأن ينفع به ..


مفكرون
الدولية للنشر والتوزيع